التكوين العلمي لأهل الفتيا في الأندلس
إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

د. شيماء فرغلي سيد علي(*)

تُعد الفتوى إحدى الخطط الدينية، أو مؤسسات الدولة في الأَنْدَلُس، وينص ابن خلدون[1] (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) على ذلك بقوله: «اعلم أن الخطط الدينية الشرعية من الصلاة والفتيا والقضاء والجهاد والحسبة كلها مندرجة تحت الإمامة الكبرى التي هي الخلافة»، ويؤكد الصبغة الرسمية للفتيا أيضًا بقوله إن صاحب الدولة يقيم مراسم أهل الفتيا ويقسِّم لهم حظًا من الرزق على نسبة الحاجة إليهم[2].

وترتبط الفتوى ارتباطًا وثيقًا بخطط الأحكام في الأَنْدَلُس، والتي يُعددها ابن سهل (ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) بقوله: «اعلم أن الحكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ست خطط: أولها القضاء وأجلها قضاء الجماعة، والشرطة الكبرى، والشرطة الوسطى، والشرطة الصغرى، وصاحب مظالم، وصاحب رد، وهو كصاحب شرطة، سمي صاحب رد بما رد إليه من الأحكام، وصاحب مدينة، وصاحب سوق. هكذا نص عليه بعض المتأخرين من أهل قُرْطُبَةَ في تأليف له. وتلخيصها: القضاء والشرطة والمظالم والرد والمدينة والسوق»[3]. وارتباط الفتوى بهذه الخطط يأتي من كونها جميعًا تحتاج إلى رأي الشرع والفتوى فيما يعرض لها من أمور ومسائل مختلفة.

وتعتمد هذه الدراسة للتكوين العلمي لأهل الفتيا في الأندلس بصورة أساسية على نوع من مصادر الدرس الأَنْدَلُسي يُعد منجمًا ثريًا في البحث التاريخي، وهو كتب التراجم، التي يمكن ملاحظة أنها إما أن تكون كتب تراجم عامة أوتراجم خاصة. فمن كتب النوع الأول «تاريخ علماء الأَنْدَلُس» لابن الفرضي (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م) الذي ذكر

(*) باحثة في التاريخ الإسلامي.

(١) مقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٦م، ج٢ ص٦٠٣ .

(٢) المصدر نفسه، ج٢ ص٨٤٨ .

(٣) ابن سهل: الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى. تحقيق: نورة بنت محمد بن عبد العزيز التويجري. جدة، ١٩٩٥م، ج١ ص٢٨: النباهي: تاريخ قضاة الأَنْدَلُس المسمى «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا». تحقيق: ليفى بروفنسال. القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٨م، ص٥: الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأَنْدَلُس والمغرب. تحقيق: محمد حجي وآخرين. بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م، ج١٠ ص٧٧ .

منهجه في تأليف كتابه قائلًا: «وغَرَضُنا فيه: ذِكْرُ أسماءِ الرجالِ وكُناهم وأنسابهم، ومن كان يَغلِبُ عليه حِفْظُ الرَّأْيِ منهم؛ ومَن كان الحديثُ والرِّوايةُ أمْلَكَ به، وأغلَبَ عليه؛ ومن كانتْ له إلى المَشرق رِحْلَةٌ؛ وعَّمن رَوى، ومَن أجَلُّ مَن لَقِي؟ ومَن بَلَغ منهم مَبْلَغ الأخْذِ عنه؛ ومن كان يُشاوَرُ في الأحكام ويُستَفتى»[١]، والكتب التي جاءت بعده مثل: كتاب «جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأَنْدَلُس»، للحميدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، وكتاب «الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم»، لابن بشكوال(ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م)، وكتاب «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأَنْدَلُس»، للضبي (ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م). وبالرغم من أنه يُلاحَظ أن هذه الكتب ينقل بعضها عن البعض نصوصًا كاملة، إلا أن كل مصدر منها أفاد البحث بوجه من الوجوه. أما كتب النوع الثاني فمن بينها كتابا: «أخبار الفقهاء والمحدثين»، و«قضاة قُرْطُبَةَ»، وكلاهما للخشني(ت ٣٦١هـ/٩٧١م)، وكتاب «تاريخ قضاة الأَنْدَلُس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا»، للنباهي (ت٧٩٣هـ/١٣٩٠م) والذي ذكر منهجه في تأليف كتابه قائلا: «هذا كتاب أرسم فيه بحول الله نبذًا من الكلام في ... سير بعض من سلف من القضاة، أو بلغ رتبة الاجتهاد، وفيمن يجوز له التقليد ومن لا يجوز له، وصفات المفتى الذي ينبغي قبول قوله، والاقتداء به لمن ذهب إلى مقلده، وبالجاري من الفتاوى على منهاج السداد، وهل يجوز للمفتي قبول الهدية من المستفتي، أم هي في حقه من ضروب الرشاء المحرمة على الجميع»[٢].

وأحيانًا تكون بعض كتب التراجم مرتبة على أساس الطبقات، وليس بالترتيب الهجائي الذي تأخذ به معظم كتب التراجم الأخرى، ومن أهم كتب الطبقات التي استعان البحث بما تضمنته من معلومات كتاب «طبقات الأطباء والحكماء»، لابن جُلْجُل (ت بعد سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م) الذي تطرَّق إلى ذكر بعض المفتين الذين عملوا بمهنة الطب، وذكر أسماء الكتب التي قاموا بتأليفها في هذا المجال. ومثل كتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وهو يشبه في مادته كتب التراجم التي سبق ذكرها؛ فهو يأخذ عنها وعن غيرها من كتب إلا أنه يتصف بغزارة معلوماته وتراجمه المطولة.

وتشير كتب التراجم إلى أن الفقهاء الذين مارسوا عمل الإفتاء عُرفوا بعدة

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص٢٣ .

(٢) النباهي: تاريخ قضاة الأَنْدَلُس. ص١ .

مسميات أو مصطلحات، منها: مصطلح «أهل الفتيا»[١]، أو مصطلح «المُفتُون»[٢]، وتنص بعض هذه الكتب على أنه عندما يصل الفقيه إلى المرتبة التي تؤهله للإفتاء يصبح في «عداد المفتين»[٣]. ومن مُسمياتِ المفتين أيضًا «أهل الشورى»[٤]، أو «المشاورون»[٥]، وهاتان التسميتان الأخيرتان كانتا تُطلقان على المفتين أعضاء هيئة الشورى، الذين يطلب منهم الإفتاء في المسائل المحالة إليهم من الأمراء والخلفاء والقضاة، وغيرهم من رجال الدولة. ومن الجدير بالذكر أنه قد كثرت أعداد المفتين في الأَنْدَلُس؛ الأمر الذي يشير في بعض وجوهه إلى ازدهار الحركة العلمية التي شهدتها الأَنْدَلُس خلال فترة البحث.

ألقاب المفتين وصفاتهم:

وقد اقتصر لقب المفتي في الأَنْدَلُس على من غلب عليه نشاط الإفتاء ووصف به بين الناس، كما وُصف في مصادر ترجمته بأنه «أفتى، استُفتى، مفتي...إلخ»؛ ومعنى هذا أنه يجب الانتباه إلى حقيقة أن هناك علماء كبار وفقهاء لم يتم إدراجهم في سلك المفتين؛ لأنهم لم يمارسوا الإفتاء بشكل عملي، أو أنهم كانوا يتحرزون ويبتعدون عن ساحة الإفتاء بالرغم من علمهم الكبير الخاص بالفقه، والمتضمَّن في مؤلفاتهم العديدة.

وهؤلاء المفتون يتم التعبير عنهم في كتب التراجم بصفات كثيرة، يمكن تصنيفها في فئتين:

---

(١) الخشني: أخبار الفقهاء والمحدثين. تحقيق: ماريا لويسا آبيلا، (و) لويس مولينا. مدريد: معهد التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٢م، ص ص١٨٣، ٢٥٧، ٣٤٠؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس. ج١ ص١٩٧؛ ج٢ ص ص٤٨٥، ٨٩١، ٩١٦؛ عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، ومحمد بن شريفة وآخرين. المغرب: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٦٨-١٩٨٣م، ج٤ ص٢٧٢؛ ج٥ ص ص١٨٤، ٢٤٢؛ ج٦ ص، ١٦١

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١١١؛ ج٧ ص ص١٤٧، ٢٩٥؛ ج٨ ص ص٢٩، ٤٥، ٩٤؛ ابن بشكوال: كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص ص٦٣، ١١٧؛ ج٢ ص٤٠٩؛ ج٣ ص٧٨٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر. د.ت، ج١ ص، ٣٧٧

(٣) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٣ ص ص ٧٨٩، ٩٤٩،

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦١٧؛ عياض: المصدر السابق، ج٧ ص، ٥

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص ص٢٨٥، ٢٩٤؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ص٢٥٤، ٣٩٠؛ ج٢ ص ص٤٧٥، ٥٤١؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص٣٤٥؛ ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م، ج٣ ص. ٨٧

أولاهما: صفات تدل على معرفتهم وبصيرتهم واعتنائهم وتصرفهم بالفتوى مثل: «صاحب فتيا»[١]، أو «عارفًا بالفتوى»[٢] ، أو «معتنيًا بالفتيا»[٣]، أو«بصيرًا بالفتوى»[٤]، أو «بصيرًا بالفتيا»[٥] ، أو «بصيرًا بالنوازل»[٦] ، أو «متصرفًا في الفتيا»[٧] ، أو«له حظ من الفتيا»[٨] ، أو «متقدمًا في الفتوى»[٩] ، أو «متقدمًا في الفتيا»[١٠] ، أو «كان أحد من تدور عليه الفتيا»[١١] ، أو«كان لا بأس به في الفتيا»[١٢]....إلى غير ذلك.

وثانيهما: أوصاف تختص بتوضيح مكانة المفتين في الفتوى، مثل: «صدرًا فيمن يستفتى»[١٣]، أو «صدرًا في الفتيا»[١٤]، أو«صدرًا في المفتين»[١٥]، أو «أحد علماء الأَنْدَلُس المبرزين في العلم والفتيا»[١٦]، أو«كان في زمانه أول أهل الفتيا بقُرْطُبَةَ»[١٧]، أو «مقدمًا في الفتيا على أصحابه»[١٨]، أو «كان من المتقدمين في الفتوى»[١٩].

---

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص ص٦٩، ١٠١، ١٨٣؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ص١٨٨، ٢٨٧؛ ج٢ ص ص٤٩٧، ٦٧٠، ٦٨٧، ٧٠١، ٧٠٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠؛ ج٥ ص ٢٣٢

(٢) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص١١٥ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٤٩؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٩ .

(٤) ابن بشكوال: المصدر السابق ، ج٢ ص٥٤٢ .

(٥) الخشني: المصدر السابق، ص٢٩٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ص٥٢٩، ٥٤٨، ٥٧٤؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٣٥؛ ج٦ ص ص١٥٧، ١٦٨؛ ج٨ ص١٤٥؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢ ص ٦٠٩.

(٦) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص١١٥ .

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص١١٢؛ ج٢ ص ص٥٥٩، ٧٤٦؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص٣٠٥؛ ج٧ ص ص١٠، ٢٤ .

(٨) الخشني: أخبار الفقهاء ، ص٤٧؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٠ .

(٩) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٦٤؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص١٥٥ .

(١٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٣٨١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٥٩؛ ج٥ ص٢٤٤ .

(١١) الخشني: المصدر السابق، ص ص٨٠، ١١٣ .

(١٢) المصدر نفسه، ص٣٢٧ .

(١٣) ابن الفرضي: المصدر السابق ، ج١ ص ص٤١٥، ٤٤١؛ ج٢ ص ص٥٦١، ٧٠٥؛ عياض: المصدر السابق ، ج٧ ص ص٩، ٢٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق ، ج١ ص١١٥؛ ج٢ ص٦١١ .

(١٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٣ .

(١٥) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص٢٢٩ .

(١٦) ابن فرحون: المصدر السابق ، ج١ ص٤٣٧ .

(١٧) الضبي: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص٣٢٥ .

(١٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٩٠؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠١ .

(١٩) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٦٤؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص١٥٥ .

الطبقة العلمية للمفتين:

كان للمفتين كيان واضح، وأدى وضوحه هذا إلى التعبير عن المنتمين إليه أحيانًا بـ«طبقة المفتين»؛ حيث يروى أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦هـ/٨٢٢م-٢٣٨هـ/٨٥٢م) لما رأى شهرة عبد الملك بن حبيب (ت٢٩١هـ/٩٠٤م) بالعلم والرواية نقله إلى قُرْطُبَةَ «ورتبه في طبقة المفتين بها»[١].

والطبقة هنا مفهوم علمي بالدرجة الأولى، وليس وضعًا ماديًا أو اقتصاديًا كما قد يظن؛ ولكن ذلك لا يمنع من أن الذي يتم ترتيبه في طبقة المفتين تتحسن أحواله المادية مما ينعكس بدوره على أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية جميعًا. وبطبيعة الحال ليس كل من ينتمي إلى هذه الطبقة من المفتين على درجة واحدة، وهو الأمر الذي يمكن استنتاجه من تقسيم ابن رشد (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م) لعلماء المذهب المالكي من حيث استحقاقهم للإفتاء؛ حيث قسمهم إلى ثلاث طوائف: أولها الطائفة المقلدة التي تحفظ أقوال مالك ومسائل الفقه وهذه لا يصح لها الفتوى؛ لأن الفتوى لا تصح بمجرد التقليد. وثانيها الطائفة المعتقدة بصحة المذهب المالكي، لما بان لها من صحة أصوله في حفظ الأقوال والمسائل، وهي لها الفتوى في حدود ما علمته من الأقوال والمسائل، وثالثها طائفة تشبه الطائفة الثانية، إلا أنها زادت فتفقّهت في معاني الأقوال والمسائل، وبلغت درجة التحقيق بمعرفة القياس وما ينبغي معرفته من أحكام القرآن والسنن، وأقوال العلماء واختلافاتهم...إلخ، فهذه الطائفة هي التي يصح لها الفتوى عمومًا بالاجتهاد والقياس على الأصول[٢].

النشأة الاجتماعية للمفتين وتأثيراتها العلمية:

بالنسبة لأوضاع النشأة الاجتماعية للمفتين سنجد الكثير من المفتين تنص المصادر على أنهم يرجعون إلى أصول اجتماعية متميزة، مثل المفتي أحمد بن يحيى بن يحيى (ت٢٩٧هـ/٩٠٩م) الذي تنص المصادر على أنه «رفيع البيت في العلم والجاه»[٣]، ومثل أبي الوليد عبد الله بن محمد (ت٤٠٢هـ/١٠١١م) الذي وصف بأنه «نبيه البيت»[٤]، ومن القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي أيضًا المفتي محمد بن أيوب بن بسام الذي كان بيته من «مشاهير بيوت العلم والقضاء»[٥]، والمفتي عبد الصمد بن موسى بن

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٣: ابن فرحون: المصدر السابق ، ج٢ ص٨ .

(٢) انظر : مسائل أبي الوليد ابن رشد . تحقيق: محمد الحبيب التجكاني. المغرب: دار الآفاق الجديدة،ط٢، ١٩٩٣م، ج٢ ص ص١١٣٩، ١٣٢٦-١٣٢٧ .

(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص١٥٤ .

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص٣٩٠ .

(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج٨ ص٩٥ .

هذيل بن تاجيت البكري (ت٤٩٥هـ/١١٠١م) الذي كان بيته «بيت علم ونباهة وفضل وجلالة»[١].

وبرزت في هذا السياق أيضًا بعض البيوت العلمية في بعض المدن الأَنْدَلُسية، مثل قُرْطُبَةَ التي كان منها الفقيه المشهور أحمد بن محمد بن زياد المعروف بشبطون اللخمي (ت٣١٢هـ/٩٢٤م) الذي وصفته المصادر بأنه كان «من بيوت العلم بقُرْطُبَةَ والجلالة»[٢]، وكذلك المفتي عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي (ت٤٣٢هـ/١٠٤٠م) الذي كان «من بيوتات العلم والشرف بقُرْطُبَةَ»[٣]، وموسى بن هذيل (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م) وابنه عبد الصمد (ت٤٩٥هـ/١١٠١م) اللذين يوصفان بأنهما «من بيت علم ونباهة وفضل وجلالة»[٤].

ولم يقتصر الأمر على قُرْطُبَةَ فحسب، وإنما تعداه إلى المدن الأخرى كإِشْبِيلِيَةَ التي كان منها المفتي محمد بن أحمد بن عبد الله الباجي (ت٤٢٣هـ/١٠٤١م) الذي يذكر عياض[٥] عنه أنه «بيته بيت علم هو وأبوه وجده»، وكذلك في مالقة هناك المفتي محمد بن أيوب بن بسام (ق٥هـ/١١م) الذي كان من أبناء «مشاهير بيوت العلم»[٦].

ولا شك أن النشأة الاجتماعية في أحد بيوت العلم أو الإفتاء ينعكس آثارها على الأبناء حيث كانوا غالبًا ما يتلقون العلم عن آبائهم، ولهذا وجدنا ظاهرتين اجتماعيتين تخصان المفتين:

أولاهما: أن الكثير من المفتين تروي المصادر أنهم تلقوا العلم عن آبائهم: سمعوا[٧] أو رووا[٨] أو أخذوا[٩] العلم والكتب عنهم.

والظاهرة الثانية أننا إذا حاولنا النظر إلى المفتين بالأَنْدَلُس بوجه عام سنجد

(١) ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٥٥٠ .

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٨٩ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٢٦ .

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٥٥٠ .

(٥) ترتيب المدارك، ج٨ ص٤٦ .

(٦) المصدر نفسه، ج٨ ص ص٩٥-٩٦ .

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٥٦٣؛ الحميدي: جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ج١ ص٢٠٣؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ص ٨٥، ٩٢، ١٢٤، ١٥٢؛ ج٧ ص٤١ .

(٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩١٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص ٢٦٢، ٤٢١؛ ج٥ ص ص١٦٢، ١٦٧؛ ج٧ ص٤٠ .

(٩) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ص١١، ١٨٢ .

مجموعة من الأسر يعود إليها كثير من مفتي الأَنْدَلُس، وهذه الأسر يمكن تناول أبرزها فيما يأتي:

١. أسرة المفتي يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) وهو رأس هذه الأسرة، التي نجد ثمانية من المفتين الكبار يرجعون إليها، يأتي على رأسهم ثلاثة من أبناء يحيى نفسه وصلوا إلى درجة الإفتاء، وهم: إسحاق (ت٢٦١هـ/٨٧٤م)[١]، وأحمد (ت٢٩٧هـ / ٩٠٩م)[٢]، وعبيد الله (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م)[٣]. ثم يأتي ثلاثة مفتين آخرين من الجيل الثاني، وهم: يحيى بن إسْحَاق بن يَحْيَى (ت٢٩٣هـ/٩٠٥م)[٤]، ويحيى بن عُبَيْد الله بن يَحْيَى (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)[٥]، ومُحَمَّد بن عَبْد الله بن يحيى، المعروف بابن أبي عيسى (ت٣٣٩هـ/٩٥٠م)[٦]. ويضاف إلى هؤلاء جميعًا عبد الله بن إدريس بن عبد الله بن يحيى (ت٣٤٤هـ/٩٥٥م)[٧]، وإدْرِيس بن عُبَيْد الله بن إدْريس بن عُبيد الله بن يَحْيَى (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م)[٨]. ويُفهم من ذلك أن هذه الأسرة ظلت تنتج مفتين خلال فترة زمنية طويلة تقرُب من قرن ونصف.

٢. أسرة ابن لبابة، وينتمي إليها ثلاثة من المفتين على رأسهم محمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)[٩]، وابنه أحمد (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)[١٠]، وابن أخيه محمد بن يحيى (ت٣٣٦هـ/٩٤٧م)[١١].

٣. أسرة ابن السليم، وعميدها المفتي أبو بكر محمد بن إسحاق بن السليم (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)[١٢]. وقد أفتى من الأسرة كذلك أخوه أبو الحكم منذر بن إسحاق بن السليم (ق٤هـ/١٠م)[١٣]، وابنه أبو الوليد عبد الله (ت٤٠٢هـ/١٠١١م)[١٤].

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٢٤ .
(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٦٢-٦٣؛ ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ ص٧٧٩ .
(٣) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٢٢٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق ، ج١ ص٤٢٩ .
(٤) الخشني: المصدر السابق، ص٣٧٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩١٠؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٣٥١ .
(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٦١؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٣٦٠ .
(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٧١٨-٧١٩؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٩٦-٩٧ .
(٧) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٩٥ .
(٨) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٣٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٤١ .
(٩) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ٦٨٠- ٦٨١؛ ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ص٧٨٢-٧٨٣ .
(١٠) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٨٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٩٢-٩٣ .
(١١) الخشني: أخبار الفقهاء ، ص١٧٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٠ .
(١٢) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٢٨٠-٢٨٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢١٤-٢١٦ .
(١٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٢٨٩ .
(١٤) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص٢٨٩؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص٣٩٠ .

٤. أسرة ابن سيار، ورأسها قاسم بن محمد بن قاسم بن سيار (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)[١]، وقد وصل إلى درجة الإفتاء هو وابنه محمد (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)[٢]، وحفيده قاسم (ت٣٥٣هـ/ ٩٦٤م)[٣].

٥. أسرة ابن جماهر الحجري بطُلَيْطُلَة، وتذكر المصادر ثلاثة من المفتين ينتمون إلى هذه الأسرة، وهم: محمد بن جماهر (ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م)[٤]، وابنه عبد الله (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)[٥]، وكذلك جماهر بن عبد الرحمن بن جماهر (ت٤٦٦هـ/١٠٧٣م)[٦].

ويمكن القول وفقًا لتحليل مكاني بأنه لم توجد ظاهرة الأسرية في الإفتاء بالأَنْدَلُس إلا في خمس مدن فقط من المدن الأَنْدَلُسية، هي: قُرْطُبَة، وإشْبِيلِيَة، وطُلَيْطُلَة، وبَاجَة، وشلب، وأن قُرْطُبَة تحتكر وحدها معظم الأسر الإفتائية، كما يلاحظ أن الأسر الممتدة زمنيًا عبر أكثر من قرن لا توجد إلا في قُرْطُبَة.

وإذا أخذنا في الاعتبار البعد الزمني سنجد تحقق هذه الأسرية طوال الفترة الزمنية من القرن الثاني إلى القرن الخامس الهجري.

ومن الممكن تفسير وجود مثل هذه الظاهرة بأنه يرجع إلى الوسط العلمي والتنشئة في بيئة تكون فيها الفتوى على درجة من الأهمية تجعل أفراد بعض الأسر يكتسبون المعارف التي تؤهلهم للوصول إلى درجة الإفتاء.

الشروط العلمية الواجب توافرها فيمن يقوم بالإفتاء:

بطبيعة الحال كانت الشروط العلمية تأتي على رأس الشروط التي كان يتم اختيار المفتين على أساسها، فكان لا بد أن يكون الذي يتصدى للإفتاء عالمًا من العلماء، وأن يكون من أهل الاجتهاد، عالمًا بالكتاب والسنة وأصول الفقه والإجماع والاختلاف ، ومقاصد الشريعة[٧]، وذكر صاحب «نفح الطيب» أن الأمويين بالأَنْدَلُس «كانوا لا يقدمون

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٤٦-٤٤٨؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٤٣-١٤٤ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦٩٨-٦٩٩؛ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٢ ص٦٢-٦٣ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٢ .

(٤) ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٥٤-٧٥٥ .

(٥) المصدر نفسه، ج٢ ص٤٢٨-٤٢٩ .

(٦) المصدر نفسه، ج١ ص٢١٧-٢١٨ .

(٧) حسين محمد الملاح: الفتوى (نشأتها وتطورها، أصولها وتطبيقاتها). بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ص ص ٥٩٠-٥٩٨؛ إسماعيل الدفتار: مفهوم الفتوى وقواعدها ومن له حق الفتوى. [ضمن مؤتمر فوضى الفتاوى: الانعكاسات وأساليب المواجهة] القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ٢٠١١م، ص ص٩-١٠ .

وزيرًا ولا مشاورًا ما لم يكن عالمًا»؛ أي أن الشروط الأساسية و البدهية في الوقت نفسه . التي على أساسها يتم اختيار المفتين المشاورين هي الشروط العلمية، وهي شروط تؤكدها المصادر على النحو الآتي:

تصف كتب التراجم المفتين بصفات دالة على اقتران الفتوى بالعلم؛ ومن ذلك وصف البعض بأنه: كان «عالمًا بالفتيا»[١]، أو «من أهل العلم والفتوى»[٢]، أو أنه «كان منسوبًا إلى العلم والفتيا»[٣]، أو أنه كان «يشرح العلم ويفتي»[٤]، أو أنه كان «متصرفًا في كل باب من أبواب العلم»[٥]، أو أنه «من جلة العلماء»[٦]، أو «من علماء الناس»[٧]، أو «من أهل العلم ومن العلماء المتقدمين»[٨]، أو «من أهل العناية بالعلم والتكلم في الفتيا»[٩]... إلى غير ذلك من أوصاف.

وكان العلم الذي يأتي في صدارة العلوم المهيئة للفتوى هو الفقه؛ الذي يجعل المفتي حافظًا للرأي، عالمًا بالنوازل والمسائل، متقدمًا في معرفة الأحكام والشروط[١٠]. ولهذا كثيرًا ما تقترن صفة الفقيه بالمفتي سواء جاءت مقترنة بالمكان مثل «فقيه الأَنْدَلُس»، «فقيه بموضعه»، «فقيه جهته»، «فقيه بلده ومفتيه»، أو «من فقهاء قُرْطُبَة»، أو «فقيه بحضرة جَيَّان»[١١]، أو مرتبطة بالزمان، مثل: «فقيه عصره»، أو «فقيه بلده في وقته»، أو «إمام عصره وفقيه زمانه»[١٢]، أو مرتبطة بالمكانة والشهرة، مثل: «من الفقهاء

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٤٣١؛ ج٢ ص٨٠٢؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص٢٩٠؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢١٢-٢١٣ .

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص١١٣، ٤٥٨؛ ج٦ ص١٦٥؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٧٨؛ ج٢ ص٨٦٣ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٨٧٩ .

(٤) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٩٠ .

(٥) المصدر نفسه، ج٨ ص١٣٢ .

(٦) ابن بشكوال: الصلة، ج٣ ص٨١١ .

(٧) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٢٩٧ .

(٨) الخشني: أخبار الفقهاء، ص١٤١ .

(٩) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٦١ .

(١٠) إحسان عباس: الشورى في الأَنْدَلُس والمغرب منذ بداية الدولة الأموية حتى نهاية دولة الموحدين. [ضمن كتاب الشورى في الإسلام]، ص٣٥٠ .

(١١) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص١٠٦؛ ج٥ ص ص٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٠؛ ج٨ ص ص٢٢، ١٥١، ١٨٤؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص١٧٤؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٦٤ .

(١٢) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٢١٧؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص٣٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٤ .

المشهورين»، أو «أحد أكابر الفقهاء»، أو «من كبار الفقهاء» أو «من جلة الفقهاء»، أو «مقدمًا في الفقهاء»، أو كان «موصوفًا بالفقه»، أو أنه «كان عالمًا»، أو «عالمًا فقيهًا»[١]... إلى غير ذلك. وليس شرطًا أن يكون كل فقيه مفتيًا؛ ولهذا ظهر التمييز الواضح بين أن يكون الشخص فقيهًا فقط، وأن يكون فقيهًا وصل إلى درجة الإفتاء في التأكيد على وجود الصفتين معًا في تراجم الكثير من المفتين، مثل وصف البعض بأنه «كان فقيهًا مفتيًا»[٢]، أو أنه «من أهل الفقه والفتيا»[٣]، أو «من أهل الفقه والشورى»[٤] وغيرها من أوصاف تؤكد العلاقة بين الفقه والفتوى من ناحية، وتظهر تميز بعض الفقهاء بالفتوى من ناحية ثانية.

ومن نافلة القول أنه لا بد للمفتي أن يكون قد وصل إلى درجة الفقيه قبل قيامه بالإفتاء، أي أن شروط الفقيه كلها تتحقق في المفتي، وهذه الشروط يمكن معرفة أبرز معالمها من خلال ما يذكر عن الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن أبي دليم (ت٣٧٢هـ/٩٨٢م) من أنه «كان لا يرى أن يسمى طالب العلم فقيهًا حتى ...يبرع في حفظ الرأي، ورواية الحديث وتبصره، ويميز طبقات رجاله، ويحكم عقد الوثائق، ويعرف عللها، ويطالع الاختلاف، ويعرف مذاهب العلماء، والتفسير، ومعاني القرآن. فحينئذ يستحق أن يسمى فقيهًا، وإلا فاسم الطالب أليق به»[٥]. ومن هذا النص تتبين عدة سمات علمية يجب توافرها في طالب العلم، حتى يُمكن وصفه بالفقيه بعد ذلك، منها ما يتصل بالمصدرين الأولين للتشريع الإسلامي، وهما: القرآن، والسنة، ومنها ما يرتبط بالآراء المختلفة للعلماء، وكذلك الدراية بفنيات عقود الوثائق وعللها.

وحتى يمكن الوثوق بعلم المرشحين للإفتاء كانت تُعقد لهم الاختبارات العلمية، ويذكر صاحب «نفح الطيب»[٦] أن الأمويين في الأَنْدَلُس «كانوا لا يقدمون أحدًا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة »، أي أن من الإجراءات

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٥٦٦؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١ ص١٠٢؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٧٨؛ ج٧ ص٤٢؛ ج٨ ص ص١٦، ٢٤؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٤٩٨؛ ج٣ ص ص٦٣٥، ٧٨٣، ٨١١؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١ ص١٠٩ . ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٣٩١؛ ج٢ ص ص٧١، ٣٥٩ . ابن الزبير: صلة الصلة، ج٣ ص٣٩٣ .

(٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٩١؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٣٩؛ ج٦ ص١٦٤؛ ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غَرْنَاطَةَ، ج٣ ص٥٤٩ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٢ .

(٤) المصدر نفسه، ج٦ ص١٥٢ .

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥١؛ محمد عبد الوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس، ص٢٣١ .

(٦) المقري، ج٣ ص٢١٤ .

التي اتبعت في اختيار المفتين عقد الاختبارات العلمية المتعددة، وتنظيم مجالس لمذاكرته فيما تحصل عليه من علوم. ويبين أهمية ذلك ما يذكره ابن سهل من أنه سمع أستاذه ابن عتاب يقول: «الفتيا صنعة». ومن قبله قال أبو صالح أيوب بن سليمان رضي الله عنه: «الفتيا دربة، وأول حضوري الشورى في مجالس الحكام ما دريت ما أقول في أول مجلس شاورني فيه سليمان بن أسود، وأنا أحفظ المدونة والمستخرجة الحفظ المتقن»[١].

ويدل هذا القول على أن العلم النظري وحده لا يؤهل الفقيه لأن يكون مفتيًا، وإنما لا بد أن تضاف إليه الممارسة العملية، وهو المعنى الذي أكد عليه ابن سهل. وهو مفتي مشاور. في تعليقه على هذه المقولة بقوله: «من تفقد هذا المعنى من نفسه ... وجد ذلك حقًا، وألفاه ظاهرًا وصدقًا، ووقف عليه عيانًا، وعَلمه خبرًا، والتجربة أصلًا في كل فن، ومعنى مفتقر إليه في كل علم»[٢].

ويؤكد ذلك كله على أهمية التجربة العملية في تدريب الفقهاء وإعدادهم ليكونوا مفتين. وتؤدي مجالس المذاكرة هذا الدور في التدريب والإعداد والتمرس في الإفتاء، بمعنى إعداد من يتصدى للفتوى إعدادًا فكريًا وعمليًا صحيحًا.

ومن أبرز الأمور التي يُمكن الحرص عليها خلال مراحل الإعداد والتدريب والتمرس: الحفظ، والضبط، والفهم والتعقل، والتبصر. وهي صفات وُصف بها كثير من المفتين؛ كأن يُقال إن هذا المفتي أو ذاك «من الحُفَّاظ»[٣]، أو «من أهل الحفظ والرواية»[٤]، أو كان «حافظًا للفقه»[٥]، أو«فقيهًا حافظًا للرأي»[٦]، أو «حافظًا لرأي مالك»[٧]، أو «حافظًا للمذهب»[٨]. أو أنه «كان ضابطًا للفقه»[٩]. أو أنه «من أهل العلم والفهم والعقل»[١٠]، أو «من أهل الذكاء، والفطنة»[١١]، أو «من أهل البصر بوثائق الأحكام»[١٢]... إلخ.

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٣٢؛ ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١ ص٢٤ .
(٢) ابن سهل: المصدر السابق، ج١ ص٢٤ .
(٣) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٠٤ .
(٤) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٢٠؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص١٧١ .
(٥) الخشني: المصدر السابق، ص١٣؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١ ص٧٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٦٤ .
(٦) الخشني: المصدر السابق، ص١٦٤؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٤٣ .
(٧) عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٦٥ .
(٨) المصدر نفسه، ج٦ ص١٤٨ .
(٩) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج٢ ص٥٧٤ .
(١٠) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٢٧؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٢٩٦ .
(١١) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٣٣و ج٧ ص١٢٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص ٣٣٦و ج٢ ص٧١٠ وج٣ ص٩٦٢؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠١ .
(١٢) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٧٥ .

ولهذا وجدنا أن المفتين غالبًا ما يكونون من أئمة العلماء والفقهاء[١]؛ حيث مثلت هذه النواحي العلمية المختلفة الرخصة بالإفتاء، فالمفتي يحمل الإجازات العلمية والسماع والرواية التي تفيد كونه عالمًا؛ وبهذا يكون الطريق ممهدًا له ليندرج في سلك أهل الفتوى.

الرحلات العلمية للمفتين

تعد الرحلات العلمية إحدى الأسس المكونة للشخصية العلمية لدى المفتين. وهذه الرحلات لم تقتصر فقط على الرحلة داخل أرجاء الأَنْدَلُس وحدها، بل شملت كذلك الرحلة إلى بلدان العالم الإسلامي المختلفة.

وبالنسبة للرحلات العلمية الداخلية في الأَنْدَلُس يمكن تقسيم المفتين الأَنْدَلُسيين في رحلاتهم الداخلية - في ضوء كتب التراجم - إلى أربعة أقسام، هي:

أولا. مفتون طلبوا العلم في بلدانهم وفي قُرْطُبَةَ، مثل:

١. مفتون من إِشْبِيلِيَةَ طلبوا العلم في قُرْطُبَةَ بجانب بلدتهم[٢]: كما في حالة حسن بن عبد الله الزبيدي (ت٣١٨هـ/٩٣٠م)، و عَليّ بن عَبْد القَادِر الكلاَعِيّ (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)، و عِيسى بن خَلَف الخولانِيّ (ت٣٤٢هـ/٩٥٣م)، و محمد بن عُمَر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م).

٢. مفتون من ألبيرة تلقوا العلم فيها وفي قُرْطُبَةَ[٣]: مثل أحمد بن علاء الخولاني (ق٤هـ/١٠م).

٣. مفتون تلقوا العلم في بلدتهم رية، وكذلك قُرْطُبَةَ[٤]: مثل سَعْدَان بن إبراهيم بن عَبْدالوَارِث (ت٣١٠هـ /٩٢٢م).

٤. مفتون طلبوا العلم في بلدتهم طُلَيْطُلَة وفي قُرْطُبَةَ[٥]، مثل: إسحاق بن إبراهيم (ت بعد ٣٠٠هـ/٩١٢م)، و محمد بن عبد الله بن عيشون (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)، وعبد الرحمن بن عيسى المعروف بابن دراج (ت٣٦٣هـ/٩٧٣م)، ومحمد بن موسى بن مغلس

(١) حسين مؤنس: شيوخ العصر في الأَنْدَلُس، ص٢٨ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ص٥٢٩، ٥٦١، ٧٤٧؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص٢٣٥: ج٦ ص١٦١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٣٢٦ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٤ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٣٢١: عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٤١ .

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٣: عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٣٢: ج٦ ص١٢٧: ج٧ ص٢٧: ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٤٤: ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٤ .

(ق٥هـ/١١م).

ثانيًا ـ مفتون طلبوا العلم في قُرْطُبَةَ ومدن أخرى غير بلدانهم: ومن هؤلاء أبو محمد الأصيلي (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) الذي خرج من بلدته شذونة وطلب العلم في قُرْطُبَةَ ووادي الحجارة وبَجَّانَة[١]، و حريش بن إبراهيم (ق٤هـ/١٠م) الذي رحل عن مدينته وادي آش طالبًا للعلم في قُرْطُبَةَ وبَجَّانَة[٢]، وعبد الله بن محمد بن شريعة اللخمي (ت٣٧٨هـ/ ٩٨٨م) الذي قدم إلى قُرْطُبَةَ وإلبيرة ليطلب العلم فيهما آتيًا من بلدته إِشْبِيلِيَةَ[٣].

ثالثًا ـ مفتون لم يأتوا إلى قُرْطُبَةَ، واكتفوا بتطلب العلم في مدن أخرى قليلة، مثل عَريف اللورقي (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م) الذي لم تذكر المصادر أنه طلب العلم في أية مدينة أندلسية أخرى غير بلدته لورقة إلا في مدينة إلبيرة[٤]. وهذه الفئة هي أقل الفئات عددًا.

رابعًا ـ مفتون جاءوا إلى قُرْطُبَةَ، وتلقوا العلم فيها دون غيرها من مدن أندلسية. وهذه الفئة هي أكبر الفئات والشواهد المعبرة عنها أكثر من أن تُحصى، والجدول التالي يذكر بعضها:

المدن التي قدم المفتون منها إلى قُرْطُبَةَ	المفتون
إستجة	إسحاق بن إبراهيم المرادي (ت٢٨٨هـ/ ٩٠٠م)
إِشْبِيلِيَةَ	محمد بن جنادة الألهاني (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)
	محمد بن مروان الأيادي (ت٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م)
بَاجَةُ	عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت٣٦٩هـ/ ٩٧٩م)
بطليوس	حسن بن شرحبيل (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م)
	حَزْم بن الأهر (ت٣٠٥هـ/ ٩١٧م)
	وطوق بن مسرة (ت٣١٥هـ/ ٩٢٧م)
	حُبَابَ بن زَكَرِّياء (ت٣٣١هـ/ ٩٤٢م)
الجزيرة الخضراء	منذر بن الحسن الكلاعي (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)
	خَلَفَ بن عَبدالله الخولانيّ (ق٤هـ/ ١٠م)

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٧ ص١٣٦: ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص٤٣٣ .

(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٢٢٨: عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٤ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٣٤-٣٥ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٥٧٤: عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٦٨ .

شذونة	سَعِيد بن يُوسُف الخُولانيّ (ت٣٦٣هـ/ ٩٧٣م)
	حَمْدون بن سَعْدُون التجيبيّ (ت٣٦٤هـ/ ٩٧٤م)
	سَعِيد بن مُرشِد العُكِيّ (ت٣٧٣هـ/ ٩٨٣م)
	عبد الله بن يوسُف البّلوطيّ (ق٤هـ/ ١٠م)
طُلَيْطُلَة	عبد الله بن سعيد الطليطلي (ت٣١٧هـ/ ٩٢٩م)
	مُحَمَّد بن أحمد بن حَزْم (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)
	سعيد بن أحمد الأنصاري (ت٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)
	محمد بن جماهر الحجري (ت٤٢٤هـ/ ١٠٣٢م)
وَشْقَة	محمد بن سليمان المُعَافِريّ (ت٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)

جدول (١) أبرز المفتين القادمين إلى قُرْطُبَة

ويستنتج مما سبق أن رحلات المفتين داخل الأَنْدَلُس في غالبيتها اتجهت إلى قُرْطُبَة؛ المركز العلمي الأول في الأَنْدَلُس، والتي يكثر بها العلماء والفقهاء والمفتون. أما الرحلات إلى المدن الأخرى فقليلة.

ويمكن القول بأن ارتباط بعض الرحلات العلمية بغير قُرْطُبَة من المدن الأَنْدَلُسية قد يعود إلى وجود بعض الشيوخ الكبار في هذه المدن في تلك الفترات الزمنية، كما أن اقتصار بعض المفتين في طلبهم للعلم على مدن بعينها قد يعود إلى الحالة المادية لهؤلاء المفتين التي لم تكن تسمح لهم بكثرة التنقل بين المدن.

هذا عن الرحلات الداخلية في الأَنْدَلُس، أما بخصوص الرحلات الخارجية فيمكن من خلال كتب التراجم التوصل إلى عدة حقائق، أهمها:

أولًا. أفصحت المصادر عن أن أكثر من مائة وأربعين مفتيًا وبنسبة تقترب من ثلث العدد الإجمالي للمفتين كانت لهم رحلات خارج الأَنْدَلُس، وهي نسبة لا بأس بها، وتدل على الأهمية التي حظيت بها الرحلة في التشكيل الثقافي والتكوين العقلي لطائفة كبيرة من المفتين بالأَنْدَلُس.

ثانيًا. مما يبيِّن مكانة الرحلة في تشكيل ثقافة المفتين بالأَنْدَلُس أن المصادر لم تنص صراحة على عدم قيام بعض المفتين برحلات إلا فيما يخص سبعة فقط من المفتين وصفت المصادر كلا منهم بأنه «لم تكن له رحلة» أو «لم يرحل»، وهم تحديدًا: جابر بن

نادر (ت٣٠٠هـ/٩١٢م)، وزقنون بن عبد الواحد (ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ، ومحمد بن عوف العكي (ق٣هـ/٩م) ، ومحمد بن عثمان المعروف بابن أرفع رأسه (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، ومحمد بن ميمون (ت٣٠٥هـ/٩١٧م) ، ومحمد بن إبراهيم بن مسرور (ت٣١٩هـ/٩٣١م)، وأحمد بن بشر التجيبي (ت٣٢٧هـ/٩٣٨م)[١].

ثالثًا. أن بعض مفتي الأَنْدَلُس كانت لهم رحلات سكتت المصادر عن ذكر البلدان التي توجهوا إليها، أو ذكرت أسماء بعض العلماء الذين لقيهم هؤلاء الفقهاء، والذين يُستدل منهم على أماكن الرحلات كما في تراجم: محمد بن عبد الله بن عيشون (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)، وأزهر بن منفلت (ق٤هـ/١٠م)، ومحمد بن جماهر الحجري (ت٤٢٤هـ/١٠٣٢م)، ومحمد بن أحمد الباجي (ت٤٣٣هـ/١٠٤١م)[٢].

رابعًا. كان لبعض المفتين أكثر من رحلة خارج الأَنْدَلُس، منهم من كانت له رحلتان مثل: قاسم بن محمد (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م) ، وحسن بن سعد الكتامي (ت٣٣٢هـ/٩٤٣م) ، ومحمد بن عبد الله التجيبي (ت٣٤١هـ/٩٥٢م)[٣]، ومنهم من كانت له ثلاث رحلات مثل: الحسين بن حي التجيبي (ت٤٠١هـ/١٠١٠م)[٤].

خامسًا. بعض الرحلات كانت تطول لعدة سنوات، مثل رحلة المفتي منذر بن الحسن الكلاعي (ت٣٣٥هـ/٩٤٦م) التي استمرت لمدة ثماني سنوات زار فيها مصر والحجاز وبغداد والشام والقيروان[٥]، ورحلة المفتي قاسم بن خلف (ت٣٧١هـ/٩٨٢م) التي استمرت ثلاث عشرة سنة شملت مصر وجدة ومكة والعراق[٦].

سادسًا. بعض مفتي الأَنْدَلُس الذين ارتحلوا تبوأوا مقعد الفتوى في البلاد التي رحلوا إليها[٧]، ومنهم: محمد بن عمر بن يوسف، المعروف بابن الفخار

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٦٩و١٠١و١٦٩ و١٨٣؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص١٨٨ و٢٨٧؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٥٩ و٤٦٦، وج٥ ص ١٨٧ و٢١٠ .

(٢) الخشني: المصدر السابق، ص٤٨؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٦٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٤٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٥٥؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٠٤ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٢٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٤٤٦ ، و ج٦ ص ص١١٨-١١٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١٤٣ .

(٤) ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص٢٢٩ .

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ص١٦٢-١٦٣ .

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٦١٧؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١٥١ .

(٧) بعض الفقهاء الأَنْدَلُسيين الذين رحلوا إلى خارج الأَنْدَلُس، استقروا في البلدان التي رحلوا إليها وتولوا الإفتاء فيها، ومن هؤلاء فقيهان من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، هما: مروان بن عبد الملك الذي رحل إلى إقريطش [كريت] وكانت فتياها تدور عليه، وعمر بن محمد بن أبي حُجَيرة القرطبي وقد «رحل وتردد بمصر ورأس بها في الفتيا على مذهب مالك وأصحابه» [انظر: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ص ٥٤٦.٥٤٧و٨١٥-٨١٦].

(ت٤١٩هـ/١٠٢٨م) الذي سكن مدينة رسول الله ﷺ وأفتى بها، وكان يفخر بذلك على أصحابه ويقول: «لقد شُووِرْتُ بمدينة الرسول ﷺ دار مالك بن أنس ومكان شوراه»[١]، وحسين بن عيسى المالقي (ت٤٥٣هـ/١٠٦١م) الذي أدى فريضة الحج، وقابل أحد علماء المالكية الكبار، وهو أبو ذر الهروي (ت٤٣٥هـ/١٠٤٣م) وسمع منه، وكان أبو ذر عندما يُستفتى بمكة عن أمر أحاله على المالقي تقديرًا له، وثقة منه في علمه[٢].

سابعًا. أن بعض الرحلات اكتفى بوصفها بأنها كانت إلى المشرق دون تحديد دقيق للبلاد التي تمت الرحلات إليها[٣]، وهي حالات قليلة.

أما معظم تراجم المفتين في الأَنْدَلُس إلى نهاية القرن الخامس الهجري فتذكر أماكن الرحلات، والأماكن التي تعددت تعددًا كبيرًا، يأتي في صدارتها بلاد الحجاز [مكة والمدينة وجدة] ثم مصر، ثم إفريقية وحاضرتها القيروان، ثم بلاد العراق، ويليها بلاد الشام، ثم تندر إلى اليمن وطرابلس وصقلية. كما يتضح من الجدول الآتي:

البلدان	عدد المفتين
بلاد الحجاز	٧٠
مصر	٥٤
إفريقية	٤٨
العراق	١٤
الشام	٦
اليمن	٢
طرابلس	١
صقلية	١

جدول (٢) رحلات المفتين الخارجية

والسبب في تركز الرحلات إلى بلاد الحجاز ومصر وإفريقية أكثر من غيرها يرجع

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٧ ص٢٨٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٤٧: ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٣٦ .

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص١٥١ .

(٣) انظر على سبيل المثال: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ٥٦٦: عياض: المصدر السابق، ج٧ ص ٣٤،٣٣ وج٨ ص ٢٤: ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ٦٧و٢٥٩، وج٢ ص ٦٢٩: وج٣ ص ٩٥٩-٩٦٠ .

إلى أنها المناطق الأساسية لعلماء المذهب المالكي الذي انتشر في الأَنْدَلُس، ونتج عن ذلك اتجاه المفتين الأَنْدَلُسيين في رحلاتهم إلى السعي لمقابلة علماء المالكية في هذه البلاد الثلاثة.

كما أن ذلك يرجع أيضًا إلى ارتباط معظم الرحلات بالحج إلى بيت الله الحرام في بلاد الحجاز، وتُعد إفريقية ومصر من أهم المحطات في الطريق إلى الحج. وكان التلقي العلمي خلال رحلة الحج يمثل إضافة لأداء الواجب الديني، أي أن الرحلات كانت تهدف إلى تحقيق عدة أهداف، منها الحج، وربما التجارة كذلك. وفي هذا الصدد يمكن تقسيم رحلات الحج إلى عدة أقسام: أولها رحلة من أجل الحج فقط، مثلما حدث مع أحمد بن ذي القرنين (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، وعثمان بن عبد الرحمن (ت٣٢٥هـ /٩٣٦م)، ومحمد بن مسور (ت٣٢٥هـ/٩٣٦م)[١]، وثانيها رحلة من أجل الحج وتلقي العلم، مثل: أحمد بن بيطر (ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، ومحمد بن إبراهيم بن عيسى الكتاني (ت٣٢٨هـ/٩٣٩م)، ويحيى بن مسعود اللورقي (ت٣٣٣هـ/٩٤٤م)، وخَلَفَ بن عَبْد الله بن مُخَارِق الخولانيّ (ق٤هـ /١٠م)[٢] ... وغيرهم. وثالثها رحلة من أجل الحج والعلم والتجارة مثل: عبيد الله بن يحيى الليثي (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م)[٣].

وكان طلب العلم خلال هذه الرحلات يتمثل في: حضور المجالس العلمية والمناظرات[٤]، والرواية من العلماء[٥]، أو السماع منهم[٦].

أما التوزيع الزمني لرحلات المفتين الخارجية فإنه يتضح من الجدول التالي:

---

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٢٦و١٦٤؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٥١٦ و٦٩٥؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٥ ص١٨٨ .

(٢) الخشني: المصدر السابق، ص٣٨١؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٦٩و ٢٤٦، وج٢ ص ٧٠٠و ٩١٥ .

(٣) الخشني: المصدر السابق، ص٢٢٩؛ ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٤٢٩ .

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٤٦٤؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص ص١٤٥، ١٥٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٥ .

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ص٩٣، ٣٥٤؛ ج٢ ص٩١٣؛ عياض: المصدر السابق، ج٣ ص ص٣٤٣، ٣٤٥؛ ج ٤ ص ص ٢٥٣، ٤٢٥، ٤٥٢؛ ج ٥ ص ص ١٥٣، ١٨٠، ٢٣٣؛ ج ٦ ص ص ١٦١، ١٦٩؛ ج ٨ ص ١٦١؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ج١ص١٥٤، ٢٤٤، ٢٧٦؛ الضبي: بغية الملتمس، ج١ ص٣٠٢، ٣٠٤؛ ج٢ ض٥٤٧.

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص٤٤١، ٤٥٤، ٤٦٤، ٤٧٤؛ ج٢ ص ص٥١٦، ٥٢٩، ٥٧٤، ٦٢٠؛ عياض: المصدر السابق، ج٣ ص٣٨٠؛ ج٤ ص ص١٠٥، ٢٤٥، ٢٥٠؛ ج٥ ص١٦٤، ٢٣٤، ٢٣٧؛ ج٦ ص ص٩٣، ١١١، ١١٨، ١٢٦، ١٥٤؛ ج٧ ص ص٨، ١٤، ٣٢، ٣٤، ١١٤؛ ج٨ ص ص١٥، ٤٧، ١٤٠؛ الحميدي: المصدر السابق، ج١ص ص٧٧، ١٠٣؛ ج٢ ص ص٤١٩، ٦٠٩؛ الضبي: المصدر السابق، ج٢ ص٦٨٥ .

القرن	عدد المفتين
الثاني الهجري/ الثامن الميلادي	٣
الثالث الهجري/ التاسع الميلادي	٥١
الرابع الهجري/ العاشر الميلادي	٦١
الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي	٢٨
المجموع	١٤٣

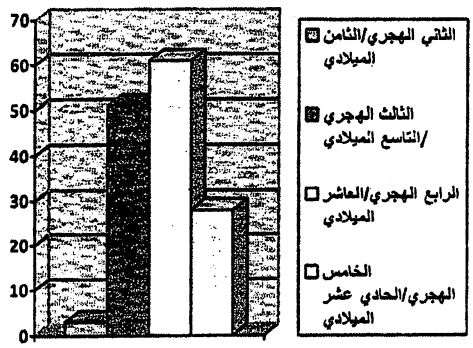

جدول (٣) التوزيع الزمني للرحلات العلمية الخارجية للمفتين الأَنْدَلُسيين حتى نهاية القرن الخامس الهجري

وبتبين من هذا الجدول أن منحنى رحلات المفتين كان في تصاعد مستمر حتى وصل إلى أعلى معدل له خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

غير أنه يلاحظ تراجع حركة الرحلات العلمية خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي مقارنة بما سبقه من قرون، وهذا ربما يكون تفسيره أن الفترة الزمنية الأولى لم تكن المدرسة المالكية الأَنْدَلُسية قد اكتملت أركانها، وكانت تحتاج إلى الاعتماد على المدارس المالكية السابقة عليها في بلاد الحجاز ومصر وإفريقية، ولكن في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي اكتملت معالم هذه المدرسة، وبالتالي قل الاعتماد على خارج الأَنْدَلُس خاصة مع تزايد علماء المذهب المالكي وفقهائه في الأَنْدَلُس، وتبع ذلك ما شهده القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي من تراجع لحركة الرحلات خارج الأَنْدَلُس.

ويتأكد ذلك إذا قارنا من كانت لهم رحلة من مفتي الأَنْدَلُس في كل قرن بعدد المفتين خلال هذا القرن، فقد كانت نسبتهم في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي ٤٢,٨٥٪ [٣ من٧]، وفي القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي ٥٥,٩٥٪ [٤٧من٨٤] غير أن تلك النسب الكبيرة تراجعت منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وصارت ٢٦,٥٨٪ [٦٣من ٢٣٧] ، ثم شهدت أقل نسبة لها في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فبلغت ١٨,٨٤٪ [٢٦من ١٣٨].

لقد كانت الأَنْدَلُس في القرنين: الثاني، والثالث الهجريين/الثامن، والتاسع الميلاديين تعتمد اعتمادًا كبيرًا في علمها وثقافتها على خارج الأَنْدَلُس، حيث لم تكن قد تكونت مدارس من العلماء والمفتين يتم الرجوع إليهم بعد، وهو الأمر الذي بدأت معالمه

تتضح بعد ذلك، خاصة منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

ومما يدل على التأثير الكبير لرحلات المفتين إلى خارج الأَنْدَلُس، أننا نلاحظ أن كل المفتين الذين تمذهبوا بغير المذهب المالكي كانت لهم رحلات علمية خارج الأَنْدَلُس باستثناء مفتٍ واحد فقط، وهذا معناه أن هذه المذاهب ـ كالمذهب المالكي ـ انتقلت تأثيراتها المحدودة إلى الأَنْدَلُس من خلال الرحلات الخارجية. ومن هؤلاء المفتين صعصعة بن سلام (ت١٩٢هـ/٨٠٨م) الذي كان على مذهب الأوزاعي[١]. وممن كان لهم رحلة من المفتين الذين مالوا إلى المذهب الشافعي قاسم بن محمد (ت٢٧٧هـ/٨٩٠م)[٢]، ويحيى بن عبد العزيز، المعروف بابن الخراز (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)[٣]. ولما قام محمد بن سليمان المعافري (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م) برحلة إلى العراق كان من أثرها فيما يبدو أنه ذهب في الأشربة مذهب العراقيين[٤].

ومن نافلة القول أن مكانة الأَنْدَلُس العلمية جعلتها هدفًا ومستقرًا لبعض شيوخ العلم وطلابه الذين جاؤوا إليها مرتحلين من بلدانهم، واستقروا في قُرْطُبَةَ وغيرها ووصلوا إلى درجة الإفتاء، ومن هؤلاء محمد بن الحَارِث بن أسد الخُشَنِيّ (ت٣٦١هـ/٩٧١م) الذي وفد إلى قُرْطُبَةَ من مدينة القيروان، وتقول عنه المصادر: «وقَدِم الأَنْدَلُس حَدَثًا سنة اثنتي عشرة، فسمع بقُرْطُبَةَ من محمد بن عبد الملك بن أَيْمَن، وقَاسِم بن أصْبغ، وأحمد بن عُبَادة، ومحمد بن عمر بن لبابة، وأحمد بن زِياد، والحسن ابن سَعْد، وجماعة سِوَاهُم من شيوخ قُرْطُبَةَ»[٥]. ومنهم أيضًا مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٢٧هـ/١٠٤٥م)، الذي وفد على قُرْطُبَةَ قادمًا من القيروان أيام المظفر بن أبي عامر سنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م ولم يؤبه بمكانه «إلى أن نوَّه بمكانه ابن ذكوان القاضي وأجلسه في الجامع، فنشر علمه، وعلا ذكره، ورحل الناس إليه من كل قطر، وولي الشورى والخطبة والصلاة إلى أن قعد عنها زمن الفتنة»[٦].

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٣٥٤ .

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٤٦؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٤٣ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩٠٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٥٧؛ المقري: نفح الطيب، ج٢ ص٦٢٧ .

(٤) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦٥٨؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٤٧٢؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص ص٢٢٣-٢٢٤ .

(٥) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٨٠٢؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢١٢ .

(٦) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٣٤٢ .

وفي ختام الحديث عن رحلات المفتين الداخلية والخارجية يجب التنويه بأثر هذه الرحلات الذي أشارت إليه الشواهد المصدرية العديدة المعبرة عن تلقي المفتين العلم على يد العلماء والشيوخ سماعًا ورواية. ومن ذلك المفتين: محمد بن سعيد السبائي (ق٢هـ/٨م) الذي «له رواية وسماع ممن تقدَّمه من شيوخ الأَنْدَلُس»[١]، ومحمد بن يوسف ابن مَطْروح (ت٢٧١هـ/٨٨٤م) الذي روى بالأَنْدَلُس عن المفتي الغازي بن قيس (ت١٩٩هـ/٨١٤م) وعيسى بن دينار (ت٢١٢هـ/٨٢٧م)[٢]، كما أن محمد بن عبد الرحمن ابن إبراهيم (ت٢٨٢هـ/٨٩٥م) روى بالأَنْدَلُس عن بعض العلماء المفتين، منهم: المفتي يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م)، والمفتي سعيد بن حسان (ت٢٣٦هـ/٨٥٠م)، والمفتي عبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م)[٣]، وكذلك المفتي عبد الرحمن بن إبْراهِيم بن عِيسى (ت٢٥٨هـ/ ٨٧١م) الذي كان أستاذًا وشيخًا، وسمع منه مفتون كثيرون، منهم: محمد بن سعيد، المعروف بابن الملون (ق٣هـ/٩م)، وسَعيد بن خُمَير(ت٣٠١هـ/٩١٣م)، وأبو صالح أيُّوب بن سُليمان (ت٣٠٢هـ/ ٩١٤م)، وسَعيد بن عُثْمان الأعْناقيّ (ت٣٠٥هـ/٩١٧م)، ومحمد بن عُمَر بن لُبابة (ت٣١٤هـ/ ٩٢٦م)، وقاسم بن أصبغ (ت٣٤٠هـ/٩٥١م)... وغيرهم كثير[٤].

ويتخلل ثنايا تراجم المفتين ذكر لكتب سمعوها أو أخذوا الإجازات بروايتها عن شيوخهم وأساتذتهم سواء كانوا من المفتين أو من غيرهم من علماء وفقهاء كبار. ومنهم: يحيى بن يحيى الليثي (ت٢٣٤هـ/٨٤٨م) الذي سمع من مالك «الموطأ»[٥]، وهِشَام بن محمد بن أبي رزَيْن (ت٣٣٦هـ/٩٤٧م) الذي «رَوى المُدَوَّنة عن محمد بن جنادة الإشْبيلي، أخبره بها عن عثمان بن أيُّوب، عن سَحْنُون»[٦]، وعلي بن حُسَين (ق٤هـ/١٠م) الذي «سَمِعَ الوَاضِحَة من يُوسُف بن يَحْيَى المَغَاميّ»[٧]، وسراج بن عبد الله بن سراج (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) الذي «سمع من أبي عبد الله بن إبراهيم الأصيلي صحيح البخاري وفاته منه يسيرٌ أجازه له»[٨]، وعبد العزيز بن عبد الله بن هذيل العبدري الذي روى عن أبي الوليد الباجي، وسمع منه صحيح البخاري سنة ٤٧٠هـ/١٠٧٧م[٩].

(١) الخشني: أخبار الفقهاء، ص١١٣ .
(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٦٣٩ .
(٣) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٤٤٨ .
(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق ، ج١ ص٤٤١ .
(٥) عياض: ترتيب المدارك، ج٣ ص٣٨٠-٣٨١ .
(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٨٩٢ .
(٧) المصدر نفسه، ج٢ ص٥٢٩ .
(٨) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص٣٥٣ .
(٩) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج٣ ص٨٩ .

أجيال المفتين ورؤوس مدارس الإفتاء في الأَنْدَلُس

يمكن وصف كبار مفتي الأَنْدَلُس بأنهم من كان لهم تأثير كبير داخل المجتمع الأَنْدَلُسي سواء كان هذا التأثير راجعًا إلى علم الفتوى وأصوله بتدريسه، أو كان راجعًا إلى القيام بنشاط الإفتاء بشكل واضح أبرزته كتب النوازل والفتاوى.

ومعنى هذا أنه يمكن التوصل إلى كبار المفتين عن طريق اتجاهين: الاتجاه الأول هو كبار المفتين الذين تتلمذ على أيديهم أكبر عدد من المفتين الآخرين، والثاني: المفتون الذين تتردد أسماؤهم بكثرة في النوازل والفتاوى الواردة في مصادر النوازل خلال فترة البحث وما بعدها.

والاتجاه الأول تتبين معالمه بتحليل تراجم المفتين في كتب التراجم؛ وذلك عن طريق حصر جميع شيوخ المفتين وأساتذتهم الذين أوردتهم المصادر، وأمام كل أستاذ عدد المفتين الذين تتلمذوا على يديه. وقد تمخض هذا الحصر عن وجود مجموعة من المفتين الكبار، كل واحد منهم له أكثر من عشرة تلاميذ تولوا الإفتاء، وهو ما يلخصه الجدول الآتي:

مسلسل	المفتي الأستاذ	تاريخ الوفاة	عدد المفتين التلاميذ
١	يحيى بن يحيى الليثي	٢٣٤هـ/ ٨٤٨م	٢١
٢	محمد بن أحمد العتبي	٢٥٤هـ/ ٨٦٨م	١٧
٣	يحيى بن إبراهيم بن مزين	٢٥٩هـ/ ٨٧٢م	١٨
٤	محمد بن عبد السلام الخشني	٢٨٦هـ/ ٨٩٩م	١٨
٥	محمد بن وضاح	٢٨٧هـ/ ٩٠٠م	٤٩
٦	عبيد الله بن يحيى	٢٩٨هـ/ ٩١٠م	١٨
٧	سعيد بن خمير	٣٠١هـ/ ٩١٣م	١١
٨	أبو صالح أيوب بن سليمان	٣٠٢هـ/ ٩١٤م	١٦
٩	طاهر بن عبد العزيز القرطبي	٣٠٥هـ/ ٩١٧م	١٢
١٠	محمد بن عمر بن لبابة	٣١٤هـ/ ٩٢٦م	٣٣
١١	محمد بن عبد الملك بن أيمن	٣٣٠هـ/ ٩٤١م	٢٦
١٢	أحمد بن خالد	بعد ٣٣٠هـ/ ٩٤١م	١٨

١٣	قاسم بن أصبغ	٣٤٠هـ/ ٩٥١م	٣٥
١٤	وهب بن مسرة الحجاري	٣٤٦هـ/ ٩٥٧م	١٤

جدول (٤) شيوخ الإفتاء في الأَنْدَلُس

ويمكن الخروج من هذا الجدول بنتيجتين: أولاهما: أن أكبر الأساتذة المفتين من حيث عدد التلاميذ المفتين هو محمد بن وضاح الذي بلغ عدد تلاميذه تسعة وأربعين مفتيًا. والنتيجة الثانية تتمثل في أن ظاهرة تعداد المفتين الذين لهم أساتذة من المفتين الكبار كانت شديدة الوضوح خلال القرنين: الثالث، والرابع الهجريين؛ حيث إن جميع المفتين الأساتذة الواردين في الجدول السابق ينتمون إلى هذين القرنين.

أما في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فيلاحظ تراجع هذه الظاهرة إلى حد كبير، إلى الدرجة التي نجد فيها أن كثيرًا من المفتين لم يكن لهم تلاميذ من المفتين الآتين بعدهم إلا مفتيًا واحدًا أو اثنين. ولم يكن هناك تعداد إلا في حالات قليلة جدًا تتمثل في أربعة من المفتين الشيوخ، وهم: أبو عبد الله محمد بن عمر ابن الفخار (ت٤١٩هـ/١٠٢٨م) الذي تروي المصادر أن عشرة من المفتين تتلمذوا على يديه[١]، وأبو عمر أحمد بن محمد بن القطان (ت٤٦٠هـ/١٠٦٧م) الذي تتلمذ على يديه ثمانية من المفتين[٢]، وأبو عبد الله محمد بن عتاب (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م) الذي تتلمذ على يديه ستة من المفتين[٣]، وآخر هذه المجموعة أبو القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، ويوجد سبعة من المفتين أخذوا العلم على يديه[٤].

والطريق الثاني الذي يُظهر لنا أكثر المفتين من حيث التأثير العلمي هو البحث عمن تردد ذكرهم بصورة كبيرة داخل كتب النوازل والفتاوى، ونجد في هذا الصدد أن المفتين الأكثر دورانًا هم: محمد بن غالب (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)، ويحيى بن عبد العزيز (ت٢٩٥هـ /

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج ٨ ص ص ٩٤، ١٣١-١٣٤، ١٤٥-١٤٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص ص ١٠٨، ٢١٧-٢١٨، ٢٥٣-٢٥٥؛ ج٢ ص ص ٤٢٨-٤٢٩؛ ج٣ ص ص ٤٢٨-٤٢٩، ٧٨٣، ٧٩٨-٨٠٠، ٨٠٢؛ ٩٣١؛ ابن الأبار: التكملة، ج٢ ص ١٩٥، ٥٨١ .

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨، ص ص ١٣٦-١٣٨، ١٨٠-١٨٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ص ١١٤-١١٥؛ ج٢ ص ص ٤٥٩، ٥٠١، ٥٥٢، ٥٥٠، ٦٣٥-٦٣٦؛ ج٣ ص ص ٨٢٣-٨٢٤؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج١ ص ٤٣٩؛ ج٢ ص ص ٧٠-٧٢، ٢٤٢-٢٤٣ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ص ١٨٢-١٨٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص ص ١١٤-١١٥؛ ج٢ ص ص ٤٢٨، ٥٠١، ٥٤٢-٥٤٣، ٦١٠-٦١١، ٦٣٥-٦٣٦ .

(٤) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ص ١٨٠-١٨٣؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج٢ ص ص ٤٥٩، ٥٠١، ٥٤٢-٥٤٣، ٥٥٠؛ ج٣ ص ص ٨١١، ٨٢٣-٨٢٤؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص ٤٣٩؛ ج٢ ص ص ٧٠-٧٢، ٢٤٢-٢٤٣ .

٩٠٧م)، وعبيد الله بن يحيى (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م)، وخالد بن وهب (ت٣٠٢هـ/٩١٤م)، وأيوب بن سليمان (ت٣٠٢هـ/٩١٤م)، وأحمد بن بيطر(ت٣٠٣هـ/٩١٥م)، وطاهر بن عبد العزيز(ت٣٠٥هـ /٩١٧م)، وسعد بن معاذ (ت٣٠٨هـ/٩٢٠م)، ومحمد بن وليد (ت٣٠٩هـ/٩٢١م)، ومحمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ /٩٢٦م)، ويحيى بن سليمان (ت٣١٥هـ/٩٢٧م)، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن (ت٣٣٠هـ /٩٤١م)[١]. والملاحظ أنهم ينتمون جميعًا إلى فترة زمنية واحدة ما بين القرنين: الثالث، والرابع الهجريين.

وباستعراض الطريقتين السابقتين يتضح وجود خمسة من المفتين قد يُعَدُّون الأبرز في ساحة الإفتاء الأَنْدَلُسية؛ حيث شاركوا في تعليم الكثير من المفتين، وفي الوقت نفسه كان لهم إسهام كبير في إصدار الفتاوى، وهم: عبيد الله بن يحيى، وأيوب بن سليمان، وطاهر بن عبد العزيز، ومحمد بن عمر بن لبابة، ومحمد بن عبد الملك بن أيمن.

أعمال علمية أخرى لأهل الفتيا

قام كثير من المفتين بأداء أعمال أخرى تتصل بوجه أو بآخر بالنواحي العلمية، وقد ألقت كتب التراجم الضوء على كثير من هذه الأعمال، ويمكن تقسيمها إلى مجموعتين على النحو الآتي:

المجموعة الأولى: أعمال حرفية وتجارية قام بها المفتون، مثل نسخ الكتب التي امتهنها المفتي قاسم بن حامد الأموي (ق٣هـ/٩م)[٢]، ولا شك أن هذه المهنة ترتبط بالنشاط العلمي للمفتين، وعلاقتهم بالكتب والمؤلفات الفقهية.

أما المجموعة الثانية فهي التأديب والتدريس، وهي تعد من أهم ما قام به المفتون إلى جانب اضطلاعهم بالإفتاء، وهي في الوقت نفسه تعكس لنا الجوانب الثقافية المتنوعة للمفتين، وتحدثنا المصادر عن حلقات العلم التي كان يعقدها المفتون في الجوامع[٣]، وتشير بعض الروايات إلى أن بعض المفتين «لم يكن لهم شغل إلا الدرس

(١) انظر: ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١ ص ص٨١، ٩٨-٩٩، ١١١، ١٢٨، ١٤٣-١٤٧، ١٩٩، ٢١٥-٢١٨، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٩، ٢٩٧-٢٩٨، ٣٠٠، ٣٧٨، ٣٩٩، ٤٧٨، ٥١٧، ٥٤٢-٥٤٥؛ ج٢ ص ص٦٨٤، ٧١٣، ٧١٩، ٧٨٥، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٤٧، ٨٥٠-٨٥٢، ٨٥٥، ٨٥٩، ٨٦٦، ٨٧٠، ٨٧٣، ٨٧٩؛ المالقي: الأحكام، ص ص٦٩، ٨١، ١٢٠، ١٣٥، ١٤٤، ٢٣٩، ٢٨٨، ٢٩٢، ٣١٠ - ٣١٤، ٣٣٠، ٣٩٥، ٣٩٦، ٤١٠، ٤٣٠، ٤٦٦، ٤٧٥؛ ابن رشد: مسائل أبي الوليد ابن رشد، ج١ ص ص ٢٢٦، ٢٨٤، ٤٤١، ٦٠١؛ ج٢ ص ص ٧٥٢، ٧٦٤، ٧٦٥، ١١٠١، ١٣١٢ .

(٢) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٣٠٦؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ٦٠٥ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص١٤٢؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص ص٢٥٩، ٤٧٠؛ ج٧ ص٨؛ ج٨ ص١٨٢؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص ص٦٠٩، ٦١١ .

والمناظرة»[١]، أو أن مفتيًا آخر «كان يجتمع إليه للسماع منه، والمناظرة عنده»[٢].

ومن أهم أعمال هذه المجموعة تأديب الصبيان وممن قام بها من المفتين: داود بن عبد الله (ق٣هـ/٩م)[٣] في إشْبِيلِيَةَ، و محمد بن حسن بن عبد الله الزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م) في قُرْطُبَةَ[٤]. وأيضًا تعليم القرآن، ومن المفتين الذين عملوا بذلك إسحاق بن إبراهيم (ت بعد ٣٠٠هـ/٩١٢م) بطُلَيْطُلَةَ[٥]، وعبد الله بن سعيد الشقاق (ت٤٢٦هـ/١٠٣٤م) بقُرْطُبَةَ، فكان يقرئ الناس بالقراءات السبع[٦]، أما التدريس فعمل به كثير من المفتين، مثل: محمد بن أحمد الثقفي، المعروف بابن مروية (ق٥هـ/١١م) بجَيَّان[٧]، وإسحاق بن يحيى بن إبراهيم (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م) بسرقسطة[٨].

ويدخل في إطار مهنة التدريس إسماع الكتب، وكان بعض المفتين يأخذون الأجر على قيامهم بإسماع الكتب، ومنهم: قاسم بن سهل بن أبي شعبون (ق٣هـ/٩م) بجَيَّان الذي سمع من العتبي مستخرجته، وكان يأخذ الأجر على إسماعها[٩].

النشاط العلمي للمفتين

يجرنا الحديث عن عمل المفتين في التدريس إلى الحديث عن النشاط العلمي الذي قام به المفتون. ومن خلال عشرات الشواهد المصدرية يتبين أن نشاط المفتين لم يقتصر على الاعتناء بالعلم الديني وحده، بل أخذ بعضهم من جميع العلوم بنصيب وافر[١٠] ومنهم من بلغ درجة التفنن في ضروب العلم[١١]. ويمكن تصنيف العلوم التي اهتم المفتون بدراستها والبحث فيها على النحو الآتي:

١- العلوم الأدبية واللغوية: وهي من العلوم المهمة للمفتي في فهمه للنصوص والفتاوى السابقة، وكذلك في طلبات الاستفتاء المكتوبة له ليفتي فيها. ومما يدل على

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٥٦ .
(٢) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٩١٤؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٧١ .
(٣) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٨٧ .
(٤) عياض: المصدر السابق ، ج٧ ص٣٨ .
(٥) المصدر نفسه، ج٥ ص٢٣٢ .
(٦) المصدر نفسه، ج٧ ص٢٩٦؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٤٠٩ .
(٧) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، ج١ ص٣٤١ .
(٨) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٥٠ .
(٩) المصدر نفسه، ج٥ ص٢٢٧ .
(١٠) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢٠١ .
(١١) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص٢٨٤؛ ج٨ ص١٥٦؛ ابن بشكوال: المصدر السابق، ج١ ص١٥٦؛ ج٢ ص٧٥٣.

تلك الأهمية ما يذكر في ترجمة المفتي أحمد بن عبد الملك الإشبيلي (ت٤٠١هـ/١٠١٠م) من أنه «كان في أول حاله لم يأخذ نفسه بتثقيف علم اللسان فذاعت في فتاواه غرائب من لحنه، نفاها عليه أصحابه، ثم فطن لنفسه، فأشاع ذكر مرض حبس نفسه فيه شهرًا عاكفًا على كتاب سيبويه، فخرج مكتفيًا من علم النحو لقوَّة حفظه وتقرُّب فهمه، فصلحت حالاته»[١]. ولهذه الأهمية يرد في المصادر في معظم تراجم المفتين مشاركتهم في هذه العلوم، أو تصرفهم فيها، أو وصف الكثيرين منهم بأن لهم حظًا أو نصيبًا فيها، إلى غير ذلك من أوصاف تفيد إلمام المفتين بتلك العلوم[٢]. بل إن بعضهم كان عالمًا في اللغة[٣]، وكثيرًا منهم كانوا شعراء[٤]. ولبعض المفتين إسهامات في حركة التأليف في هذه العلوم، مثل: عبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ/٨٥٢م)، فله كتاب «الشعراء والأبرار»[٥]، ومحمد بن عمر، المعروف بابن القوطية (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، ومن أبرز كتبه: «تصريف الأفعال» و«المقصور والممدود»[٦]، وأبرز المفتين في هذا الصدد هو محمد بن الحسن الزبيدي (ت٣٧٩هـ/٩٨٩م)؛ الذي له عدة مؤلفات في اللغة والأدب، منها: «لحن العوام»، و«الأسماء والأفعال والحروف»، و«الواضح في النحو»[٧].

٢. علوم القرآن الكريم: وهي من العلوم التي اهتم بها المفتون بطبيعة الحال لاتصالها بالمصدر الأول في التشريع الإسلامي؛ ولهذا وجدنا بعض المفتين بصيرًا بعلوم القراءات والتفسير، وأحكام القرآن، وفضائله، والناسخ والمنسوخ، وغيرها من العلوم القرآنية.

---

(١) عياض: ترتيب المدارك، ج٧ ص١٢٨ .

(٢) الخشني: أخبار الفقهاء، ص٣٢؛ ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ج١ ص ص١٣٣، ١٦٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٤٥؛ ج٦ ص١٢٣؛ ج٨ ص٩؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٥٤ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص٢٤٣ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج ١ ص٩٤؛ عياض: المصدر السابق، ج ٦ ص ص١٢٥، ١٥٣؛ ج٧ ص٣٨؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٠٤؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص١٨٣؛ السيوطي: بغية الوعاة، ج١ ص ص٢٦٩، ٣٧٢؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٤٠٤ .

(٥) الخشني: أخبار الفقهاء، ص ٢٤٦ .

(٦) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ٧٤٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ٢٩٧، والكتاب الأول منهما حققه علي فودة، ونشر بالقاهرة، سنة ١٩٥٨م، أما الثاني فمفقود.

(٧) نُشر الكتاب الأول في مكتبة الخانجي بالقاهرة بتحقيق رمضان عبد التواب، أما الكتاب الثاني فقد نشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٩٠م بتحقيق أحمد راتب حموش، كما نشر الكتاب الثالث بتحقيق أمين علي السيد، وصدر عن دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٥م.

وقد اعتمد الأَنْدَلُسيون خلال القرون الأولى في علم القراءات[١] على ما أنتجه علماء المشرق الإسلامي من كتب ومصنفات، وساعد على ذلك الرحلة إلى المشرق خاصة مصر التي كانت من أهم مراكز هذا الفرع من فروع الدراسات القرآنية[٢]، كما أن استقدام علماء القراءات المشارقة مثل أبي الحسن علي بن محمد الأنطاكي (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) الذي استقدمه الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م[٣] ساعد على ازدهار علم القراءات في الأَنْدَلُس. وبعد هذه المرحلة ظهرت مرحلة جديدة ظهر فيها علماء أندلسيون في علوم القراءات، يأتي على رأسهم المفتي مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م) الذي ترك مصنفات عديدة في العلوم القرآنية[٤] خاصة القراءات والتفسير وإعراب القرآن، ومن أبرز كتبه «التذكرة في القراءات السبع»، و«التنبيه على أصول قراءة نافع»، و«التبصرة في القراءات السبع»..وغيرها، وقد روى بعض المفتين هذه الكتب عنه، مثل المفتي محمد بن عتاب بن محسن (ت٤٦٢هـ/١٠٦٩م).

أما علم التفسير فلم ينشأ كعلم مستقل في الأَنْدَلُس إلا في القرن الثالث الهجري، حيث تروي كتب التراجم أن من أوائل كتب التفسير القرآني في الأَنْدَلُس التفسير الذي وضعه أبو موسى عبد الرحمن بن موسى الإستجي في منتصف القرن الثالث الهجري، وممن روى هذا التفسير من المفتين محمد بن أحمد العتبي (ت٢٥٤هـ/ ٨٦٨م)، ثم رواه عنه المفتي محمد بن عمر بن لبابة (ت٣١٤هـ/٩٢٦م)[٥]، وفي القرن الثالث الهجري أيضًا قام المفتي عبد الملك بن حبيب (٢٣٨هـ/٨٥٢م) بتأليف تفسير للقرآن[٦]؛ إلا أن أشهر تفسير للقرآن كان للمفتي بقي بن مخلد (ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وهو أول علم من أعلام المفسرين بالأَنْدَلُس، وهو صاحب التفسير الذي قطع ابن حزم بأنه «لم يؤلف في الإسلام تفسير مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره»[٧].

(١) علم القراءات هو العلم الذي يختص بدراسة الألفاظ القرآنية وكيفية أدائها الصوتي، ومن أشهر الكتب المشرقية التي دخلت الأَنْدَلُس في هذا الفن في ذلك الوقت «كتاب القراءات» لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) وكتاب «اختلاف القراءات» لابن مجاهد (ت٣٢٤هـ/٩٣٥م) وكتاب «التذكرة في القراءات» لابن غلبون (ت٣٩٩هـ/١٠٠٨م). [انظر: فهرسة ابن خير، ص٤١-٤٢؛ محمود علي مكي: علوم القرآن في الأَنْدَلُس حتى نهاية القرن السادس الهجري، ص١٨و٢٠].

(٢) محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٢١ .

(٣) المقري: نفح الطيب، ج٣ ص١٤٤ .

(٤) سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأَنْدَلُس، ص١٨٨ .

(٥) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص٤٤٠؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٤٤-٤٥ .

(٦) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص٥٥١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٣ .

(٧) ابن حزم: رسالة في فضل الأَنْدَلُس، ص١٧٨؛ المقري: نفح الطيب، ج٢ ص٥١٩ .

ولم يقتصر اهتمام دائرة الإفتاء الأَنْدَلُسي بالعلوم القرآنية على علمي: القراءات، والتفسير، بل شمل كذلك العلوم القرآنية الأخرى كفضائل القرآن. وقد اهتم المفتون محمد بن عبد السلام الخشني (ت٢٨٦هـ/٨٩٩م) ووهب بن نافع الأسدي القرطبي (ت٣٧٣هـ/٩٨٣م) بإدخال كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ/٨٣٨م) الخاص بفضائل القرآن في الأَنْدَلُس[١]. ثم كانت مشاركة بعض المفتين في التأليف في هذا الفن كعبد الملك بن حبيب الذي وضع مؤلفًا في رغائب القرآن[٢]، وكذلك المفتي يحيى بن إبراهيم بن مزين (ت٢٥٩هـ/٨٧٢م) الذي له مؤلف بعنوان «فضائل القرآن»[٣].

أما علم الأحكام القرآنية فقد شارك فيه المفتون رواية، ومنهم: محمد بن إسحاق ابن السليم (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م) وعبيد الله بن الوليد المعيطي (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م) اللذان رويا كتاب القاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي في أحكام القرآن[٤]، و قاسم بن أصبغ البياني (ت٣٤٠هـ/٩٥١م) الذي وضع كتابًا في «أحكام القرآن»[٥]. وكذلك علوم الناسخ والمنسوخ، وممن برع فيها من المفتين قاسم بن أصبغ البياني، وله كتاب «الناسخ والمنسوخ»، ومكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ/١٠٤٥م)، وله كتاب شهير في ذلك أيضًا[٦].

أما الدراسات اللغوية المرتبطة بالقرآن فقد نالت كذلك حظوة في حركة التأليف عند المفتين، ومنها: كتاب «إعراب القرآن» لعبد الملك بن حبيب[٧]، وكتب: «إعراب القرآن» و«مشكل غريب القرآن» و«مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب[٨].

---

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص ص٦٤٨-٦٤٩، ٨٧٥ .

(٢) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص٥٥١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٣؛ محمود علي مكي: علوم القرآن في الأَنْدَلُس، ص٨٧ .

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٣٩؛ فهرسة ابن خير، ص٨٨؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٨٨ .

(٤) فهرسة ابن خير، ص٦٧-٦٨ .

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٨٢؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١٤٦؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٩٢ .

(٦) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص١٤؛ فهرسة ابن خير، ص٦٧؛ محمود علي مكي: المرجع السابق، ص٩٩

(٧) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص١٢٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣ ص٥٥١؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص١٢ .

(٨) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص ١٤ . والمطبوع من كتب مكي بن أبي طالب الواردة بالمتن كتاب "مشكل إعراب القرآن": حققه حاتم صالح الضامن، ونشرته مؤسسة الرسالة ببيروت سنة ١٩٨٤م.

٣. علوم الحديث النبوي: اهتم بها المفتون الأَنْدَلُسيون، لأن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني من مصادر استنباط الفتاوى والأحكام، ومن المعروف أن الإمام مالك ابن أنس صاحب المذهب السائد في الأَنْدَلُس كان فقيه أثر، يهتم بالحديث رواية ودراية، وأن مصنفه «الموطأ» كتاب حديث وفقه؛ ولهذا اهتمت حركة الإفتاء في الأَنْدَلُس بعلم الحديث اهتمامًا كبيرًا ظهر في عدة مناحي، وكان المفتي الغازي بن قيس (ت١٩٩هـ/٨١٤م) هو أول من أدخل «الموطأ» إلى الأَنْدَلُس، وقد دارت حركة علمية حول هذا الكتاب شارك فيها المفتون بسهم وافر(١).

وقد كثر وصف العديد من المفتين بأنهم حدَّثوا(٢)، أي رووا الحديث النبوي وعرف بعضهم بأنه كان «ثبتًا بالحديث ضابطًا لما رواه»(٣)، وهذه الرواية جاءت عن طريق الحفظ؛ حيث كان الحفظ أحد طرق التعلم في الأَنْدَلُس مثلها مثل غيرها من بلدان العالم الإسلامي، وقد روت المصادر أن بعض المفتين كان يحفظ كتبًا كاملة من الحديث النبوي، ومنهم يحيى بن إبراهيم بن مزين (ت٢٥٩هـ/٨٧٢م) الذي كان يحفظ «الموطأ» للإمام مالك بن أنس(٤)، وأحمد بن محمد بن مغيث الصدفي (ت٤٥٩هـ/١٠٦٦م) الذي حفظ «صحيح» البخاري(٥).

ولم يقتصر الأمر على حفظ الحديث وروايته بل تعداه إلى أن بعض المفتين أصبحوا علماء سواء في الحديث النبوي، مثل: أبي بكر محمد بن إسحاق بن السليم (ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، ومحمد بن مروان بن زهر الأيادي (ت٤٢٢هـ/١٠٣٠م)(٦)، أو في العلوم المتصلة به كعلم الرجال أو الجرح والتعديل، مثل: إسماعيل بن إسحاق، المعروف بابن الطحان (ت٣٨٤هـ/٩٩٤م)، ومحمد بن يحيى بن الحذاء التميمي (ت٤١٠هـ/١٠١٩م)(٧).

---

(١) انظر على سبيل المثال: ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص ص١٢٧، ٢٣٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص١١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨ ص٨٦ .

(٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ص٩٣، ٣٠٨، ٤٣٢؛ ج٢ ص ص٦٢٠، ٧١٠، ٧٤٦؛ عياض: المصدر السابق، ج٦ ص ص١١١، ١٢٤؛ ج٧ ص ص٣٥، ٢٠٨ .

(٣) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص١٥٠؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج١ ص٤٤١ .

(٤) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٣٨ .

(٥) ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص١٠٨ .

(٦) عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص٢٨٠؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٧٥٣؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص٢١٤ .

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج١ ص. ١٣٥ عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٧؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢٣٧ .

٤. علوم الأنساب والتراجم والتاريخ: اهتم بعض المفتين بهذه العلوم، وكان بعضهم حافظًا للأخبار[١] وعالمًا بها، وقد وصفت بعض كتب التراجم بعض المفتين بأنهم كانوا نسابين إخباريين[٢]، وكان للبعض منهم اهتمام خاص بتاريخ الأَنْدَلُس[٣].

وينطبق هذا الاهتمام على علم التاريخ أيضًا، الذي يلاحظ فيه الاهتمام البالغ بتراجم الرواة والفقهاء والقضاة، ومن أمثلة ذلك المفتي عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن أبي ديلم (ت٣٥١هـ/٩٦٢م) الذي وضع كتابًا فيمن روى عن مالك وأتباعهم من أهل الأمصار[٤]، والمفتي محمد بن الحارث بن أسد الخشني (ت٣٦١هـ/٩٧١م) الذي ألف عدة كتب في «تاريخ علماء الأَنْدَلُس»، و«تاريخ قضاة الأَنْدَلُس»، و«طبقات فقهاء المالكية»، و«الرواة عن مالك»[٥]، والمفتي محمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) الذي ألف كتابًا بعنوان «التعريف برجال الموطأ»[٦]. ويلاحظ من هذه النماذج ارتباط التأليف التاريخي بفن التراجم التي تتناول من لهم علاقة بالنواحي الفقهية والعلوم الدينية.

هذه هي العلوم الرئيسة التي اهتم بها المفتون، والتي يمكن القول إنها تميل إلى مجال العلوم الإنسانية. أما العلوم الأخرى، وهي العلوم الطبيعية أو العملية فلم نجد من المفتين من يهتم بها إلا قليلا. وهي تنحصر في ضوء المصادر في علوم الطب والحساب وتعبير الرؤيا، ولبعضهم مؤلفات في هذا الجانب، مثل: سعيد بن أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) الذي كان طبيبًا ومن أهل «الحذق في الطب» وله «أرجوزة في الطب»[٧]، وموسى بن أحمد اليحصبي، المعروف بالوتد (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) الذي كان له حظ في تعبير الرؤيا[٨]، ومحمد بن يحيى بن محمد بن الحذاء (ت٤١٠هـ/١٠١٩م) الذي وضع مصنفًا بعنوان «البشرى في عبارة الرؤيا»[٩].

---

(١) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج١ ص ١٣٥-١٣٦؛ ج٢ ص٦٨٠، ٧٠٣؛ عياض: المصدر السابق، ج٧ ص، ١٦٧

(٢) ابن حيان: السفر الثاني من كتاب المقتبس، ص٤٨؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص، ٩

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص، ٦٨٠

(٤) عياض: المصدر السابق، ج٦ ص، ١٥٠

(٥) ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص، ٢١٣

(٦) المصدر نفسه، ج٢ ص، ٢٣٧

(٧) ابن جلجل: طبقات الأطباء والحكماء، ص١٠٤؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٤١؛ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج٣ ص ص ٢١٢-٢١٥.

(٨) عياض: المصدر السابق، ج٧ ص، ١٥٨

(٩) ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص، ٢٣٧

أما علم الحساب فقد نال هو الآخر اهتمامًا من المفتين لارتباطه بالفرائض وأمور المواريث؛ ولهذا وجدنا المصادر تصف بعض المفتين بأنهم كانوا بصيرين بالفرائض والحساب، أو أن لهم حظًا وافرًا فيها[١].

النقد العلمي للمفتين وسلبياتهم

بالرغم من الشروط الصعبة التي روعيت في اختيار المفتين للوصول إلى درجة الإفتاء، إلا أن هذا لم يمنع من وجود كثيرين ممن أشارت المصادر إلى كونهم مفتين، وقاموا بالإفتاء وهم ليسوا أهلًا للفتيا لملاحظات سُجِّلت عليهم. ويمكن تقسيم النقد العلمي والسلبيات التي وقع فيها بعض المفتين في ضوء روايات كتب التراجم إلى ما يلي:

١. نقد يتصل بالناحية العلمية: فهناك الكثير من المفتين وصفتهم المصادر بقلة العلم، مثل: إبراهيم بن يزيد بن قلزم بن مزاحم (ت٢٦٨هـ/٨٨١م)، ومحمد بن محمد بن عبد السلام الخُشَنِيّ (ت٣٣٣هـ /٩٤٤م)، و عبد الله بن محمد الصابوني (ت٣٧٨هـ/٩٨٨م)، و يحيى بن حكم العاملي، المعروف بابن اللبان (ت٣٨٠هـ/٩٩٠م)[٢]. وأحيانًا يأتي وصف المفتي بأنه «كان خارجًا من طبقة أهل العلم»[٣]، أو بأنه «لم يكن بالمشهور في العلم ولا بالنافذ فيه»[٤]، أو «كان متأخرًا في علمه وعقله»[٥].

وأحيانًا كان وضع المفتين المستحق للنقد يثير حمية بعض المفتين الكبار، ومن هؤلاء ابن لبابة (ت٣١٤هـ/٩٢٦م) الذي نقد بعض مفتي عصره قائلا:

ذَهب الرجالُ المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمرٍ منكرِ

وبقيتُ في خلف يزين بعضهم بعضًا ليسكت معور عن معورِ[٦]

ويأتي النقد العلمي بشكل أوضح فيما يخص علم الفقه، فقد وصف محمد بن الحارث (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) بأنه «قليل الفقه»[٧]، ونقد عِيسَى بن مُحَمَّد بن إبْرَاهيم بن

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص٧٧٦؛ عياض: المصدر السابق، ج ٧ ص ٢٩٥؛ ج ٨ ص ١٣٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج١ ص١٥٦؛ ج٢ ص٤٠٩، ٤٢٩؛ ابن فرحون: المصدر السابق، ج٢ ص٢١٤ .

(٢) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص٧٠٩؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٤٢٤، وج٦ ص ٣٠٢، وج ٧ ص ٢٩٤.

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص ص ٥٦٣، ٧٠٠ .

(٤) المصدر نفسه، ج٢ ص٥٥٩ .

(٥) المصدر نفسه، ج١ ص١٦١ .

(٦) ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ ص٧٨٣؛ وثائق في شئون الحسبة في الأَنْدَلُس، ص١٥٦ .

(٧) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٢٦٢ .

حيّويه الكِنَانيّ (ت٣٧٤هـ/٩٨٤م) بأنه «لم يكن له تقدم في الفقه والحديث»[١]. أما عبدالرحمن سعيد بن فرج (ت٤٣٩هـ/١٠٤٧م) فإنه «لم يكن من المستبحرين في العلم، ولا من أهل الحذق بالمسائل المالكية»[٢]. كما نقد بعض المفتين بقلة معرفتهم بعلم الحديث وهو من الأصول المعتمدة في عملية الإفتاء؛ ولذا نقرأ أن أحد المفتين «كان قليل العلم بالفقه والحديث»[٣]، أو كان عديم الدراية بعلم الحديث كما في حالة يَحيى بن إبراهيم بن مُزَين (ت٢٥٩هـ/٨٧٢م) الذي «لم يكن له علم بالحديث»[٤]، و عبد الأعلى بن وَهْب بن عبد الأعلى (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) الذي «لم تكن له معرفة بالحديث»[٥].

ومما يؤسف له حقًا في هذا الشأن أن بعض المفتين اتهموا بأنهم كانوا يضعون الحديث ويكذبون على رسول الله ﷺ، ومن هؤلاء أصبغ بن خليل (ت٢٧٣هـ/٨٨٧م) الذي تروي المصادر أنه كان شديد التعصب لرأي الإمام مالك، الأمر الذي دفعه إلى افتعال حديث في رفع اليدين في الصلاة بعد الإحرام[٦]، و محمد بن وضاح (ت٢٨٧هـ/٩٠٠م) الذي كان «يُنكر عليه كثرة رده في كَثْرَةٍ من الأحَاديث. وكان ابن وضاح كثيرًا ما يقول: ليس هذا من كلام النبي ﷺ في شيء. وهو ثابت من كلامه. وله خطأ كثير محفوظ عنه؛ وأشياء كان يغلط فيها ويُصَحفها؛ وكان لا علم عِنده بالفِقْه ولا بالعربية»[٧].

(١) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص، ٥٦٣

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص، ٢٠

(٣) ابن الفرضي: المصدر السابق، ج٢ ص، ٧٠٩

(٤) المصدر نفسه، ج٢ ص٩٠١؛ عياض: المصدر السابق، ج٤ ص، ٢٣٩

(٥) عياض: المصدر السابق، ج٤ ص٢٤٥؛ ابن فرحون: الديباج المذهب، ج٢ ص، ٥٤

(٦) «وزعم أنه رواه عن غازي بن قيس. عن سلمة بن وَرْدان، عن ابن شهاب عن الربيع بن خشيم، عن ابن مسعود. قال: صليت وراء رسول الله ﷺ، وخلف أبي بكر، سنتين وخمسة أشهر. وخلف عمر عشر سنين، وخلف عثمان اثنتي عشرة سنة. وخلف علي بالكوفة خمس سنين. فما رفع واحد منهم يده إلا في تكبيرة الإحرام وحدها. فوقع في خطأ بيّن عظيم، منها: أن الإسناد غير متفق: لأن سلمة بن وردان لم يرو عن ابن شهاب، ولا ابن شهاب عن الربيع، ولا رآه. وأعظم منه في المحال ذكره أن ابن مسعود، صلى خلف علي بالكوفة. وهو لم يدرك أيام علي رضي الله عنه. وحدّث أيضًا بحديث آخر، في إسناد القرآن، عن الغازي، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، عن جبريل، عن الله. فظن أن نافعًا - شيخ الغازي بن قيس - هو مولى ابن عمر. وإنما هو نافع القارئ. قال أحمد بن خالد: إن أصبغ لم يقصد الكذب عن رسول الله ﷺ، وإنما ظهر له أنه يريد تأييد مذهبه. وهذا كلام من أحمد لا معنى له. وكل من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فكأنما كذب لتأييد غرض. ولو قال: إنه إنما كذب في السند وعلى غير النبي. إذ قد روى عن النبي أنه رفع أولا، ثم لم يرفع بعد، بما جاء في الحديث عن النبي هنا، بمعنى ما أتى به هو، كان أشبه. لكن الكذب في العلم، أي نوع كان مبطلًا لصاحبه مسقطًا له بشهادة الزور» [انظر: عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٢٥١-٢٥٢].

(٧) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأَنْدَلُس، ج٢ ص، ٦٥٢

وجاء النقد أكثر تركيزًا فيما يخص الفتوى كما في حالة محمد بن غالب المعروف بابن الصفّار (ت٢٩٥هـ/٩٠٧م)، والذي «لم يتبحر في علم الفتوى»[١].

ويفسَّر وصف بعض المفتين بقلة العلم بأن ذلك يرجع إلى هجرهم للعلم وعدم دراستهم المستمرة له، وفي ذلك يقول ابن سهل: إنه إذا هجر الفقيه العلم يومًا هُجر وزال، ولم يبق منه أثر، وإن المسائل لا ينبغي أن يغفل عن درسها، ولكل شيء آفة وآفة العلم النسيان. ومعنى ذلك أنه لا بد للمفتي أن يواصل الدرس للمسائل، ويواظب عليها حتى لا يتعرض للنسيان. وقد فطن لذلك القاضي ابن زرب عندما علق على فتوى لأستاذه اللؤلؤي فقال: لو تركت الدرس من عامين لنسيت ما هو أقرب من هذا، فكيف بشيخ قد بعد عهده بالدراسة - ويقصد بذلك اللؤلؤي الذي أخطأ في بعض المسائل. وإنما هذه المسائل لا يقلع رأس عن درسها[٢].

ومن النقد الذي وجه لبعض المفتين النقد الذي وجه إلى كتاب «المستخرجة» للعتبي (ت٢٥٤هـ/٨٦٨م)، حيث قال ابن لبابة بأنه «جمع المستخرجة، وكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الشاذة، وكان يأتي بالمسائل الغريبة، فإذا أعجبته قال: أدخلوها في المستخرجة»، وقال ابن وضاح: «في المستخرجة خطأ كثير»[٣].

وقد ذكر ابن سهل في أكثر من موطن معالم فساد بعض المفتين، و استشهد بما قاله ربيعة بن أبي عبد الرحمن: « استفتى من لا علم له»، وبما قاله ابن المبارك: «وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها، والله تعالى حسيبنا». و أخبار ابن سهل كثيرة في هذا المجال، ولكنه امتنع عن التفصيل في هذه الشأن حتى لا يخرج نوازله عن الغرض الذي قصده منها، فقال: «ولو ذكرت من هذا ما شهدته وما بلغني لطال معه الكتاب، وخرج عنه الغرض الذي قصدناه فيه»[٤].

وأحيانًا تكون تبعة وجود مفتين لا يستحقون درجة الإفتاء راجعة إلى السلطة السياسية التي كلفتهم بذلك وهم غير أهل لها، ويوضح ذلك ما يروى عن الخليفة المستكفي من أنه قام بإدراج كثيرين إلى هيئة الشورى من «أصاغر الطبقة الفقهية...

(١) تاريخ علماء الأندلس، ج٢ ص٦٥٨؛ عياض: المصدر السابق، ج٥ ص١٥٨ .

(٢) ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج٢ ص ص ٦٨٦، ٦٩٢؛ محمد عبد الوهاب خلاف: تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس. ص٣٣٠.

(٣) عياض: ترتيب المدارك، ج٤ ص٢٥٣-٢٥٤ .

(٤) ابن سهل: الأحكام الكبرى، ج١ ص٥١٧؛ خلاف: تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس، ص. ٣٢٩

فوسم كافتهم بوسم الفتوى، فأسرف في ذلك حتى بلغ عددهم بقُرْطُبَةَ يومئذ إلى الأربعين، وذلك ما لم يعهد في الغابرين»[١].

٢. نقد خاص بالصفات الذهنية: حيث وصف بعض المفتين بالغفلة، مثل: محمد بن سعيد بن أبي زعبل المعروف بابن الرقاق (ت٤٥٤هـ/١٠٦٣م) الذي وصف بأنه «كثير الغفلة»[٢]، أو بالتخليط كما في حالة أصبغ بن سعيد بن أصبغ الصّدفي (ت٣٥٨هـ/٩٦٨م) الذي وصف بأنه كان «كثير التخليط مشهورًا بذلك»[٣]، وموسى بن أحْمَد بن سَعِيد اليَحْصُبيّ، المعروف بالوتد (ت٣٧٧هـ/٩٨٧م) الذي «كان يُنْسَبُ إليه تخليط كثير شُهِرَ به وعُرِفَ منه»[٤]، أو بعدم الضبط لما يفتي به. وقد وصف غير واحد من المفتين بأنه لم يكن بالضابط، مثل: حَسَن بن سَعْد بن إدريس الكتاميّ (ت٣٣٢هـ/٩٤٣م) ، وأحمدُ بن سَعيد بن محمد بن بِشْر بن الحَصَّار (ت٣٩٢هـ/١٠٠١م) و عمر بن حفْص (ق٤هـ/١٠م)، و عبد الرحمن بن محمد بن سلمة الأنصاري (ت٤٧٨هـ/١٠٨٥م)[٥].

(١) ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج١ ص٣٣٧

(٢) عياض: المصدر السابق، ج٨ ص٩٠؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص. ٧٨٩

(٣) ابن الفرضي: تاريخ علماء الأنْدلُس، ج١ ص. ١٥٥

(٤) تاريخ علماء الأنْدَلُس، ج٢ ص. ٨٥٤

(٥) المصدر نفسه، ج١ ص ٢٠١و١٢٤، وج٢ ص ٥٤٨؛ عياض: ترتيب المدارك، ج٦ ص١٥٧؛ ابن بشكوال: الصلة، ج٢ ص٥٠٥.

مصادر البحث ومراجعه

أولا. المصادر:

● ابن الأَبَّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م.

● ابن أبى أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٧٠م): عيون الأنباء فى طبقات الأطباء. تحقيق: عامر النجار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م.

● ابن بسام، أبو الحسن على بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ/١١٤٨م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي،٢٠٠٠م.

● ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ/١١٨٢م): كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأَنْدَلُس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة – بيروت: دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● ابن جُلْجُل، أبو داود سليمان بن حسان الأَنْدَلُسي (ت بعد سنة ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م): طبقات الأطباء والحكماء. تحقيق: فؤاد سيد. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية،٢٠٠٥م.

● ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م): رسالة في فضل الأَنْدَلُس [ضمن رسائل ابن حزم ج٢] تحقيق: إحسان عباس، ط٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧م.

● الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م): جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة – بيروت: دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأَنْدَلُس. [نُشر تحت عنوان: «السفر الثاني من كتاب المقتبس لابن حيان القرطبي»]. تحقيق: محمود علي مكي. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

● الخُشَنِي، أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني(ت ٣٦١هـ/٩٧١م) : أخبار الفقهاء والمحدثين. تحقيق: ماريا لويسا آبيلا، و لويس مولينا. مدريد : معهد

التعاون مع العالم العربي، ١٩٩٢م.

● ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط٤، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.

● ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م): مقدمة ابن خلدون. تحقيق: علي عبد الواحد وافي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٦م.

● ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير (ت٥٧٥هـ/١١٧٩م): فهرسة ابن خير. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

● الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٨٢م.

● ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م): مسائل أبي الوليد ابن رشد. تحقيق: محمد الحبيب التجكاني. المغرب: دار الآفاق الجديدة، ط٢. ١٩٩٣م.

● ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم الثقفي الغرناطي (ت٧٠٨هـ/١٣٠٨م): صلة الصلة. تحقيق: شريف أبو العلا العدوي. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ط١. ٢٠٠٨م.

● ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي الجياني (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م):

- الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى. تحقيق: نورا بنت محمد بن عبد العزيز التويجري. جدة، ١٩٩٥م.

- وثائق في شئون الحسبة في الأَنْدَلُس مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى. تحقيق: محمد عبد الوهاب خلاف. القاهرة: المركز الدولي العربي للإعلام، ١٩٨٥م.

● السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

● الضَّبِّي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة بن يحيى الضبي (ت ٥٩٩هـ/١٢٠٣م): بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة - بيروت: دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● عياض، القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: محمد بن تاويت الطنجي، وعبد القادر الصحراوي، ومحمد بن شريفة، وآخرين. الرباط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٩٦٨/١٩٨٣م.

● ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين (ت ٧٩٤هـ/١٣٩١م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة: دار التراث للطبع والنشر، د.ت.

● ابن الفرضي، عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدي القرطبي (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م): تاريخ علماء الأَنْدَلُس. تحقيق: إبراهيم الإبياري. القاهرة ـ بيروت: دار الكتاب المصري ـ دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

● المالقي، أبو المطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي (ت٤٩٧هـ/١١٠٣م): الأحكام. تحقيق: الصادق الحلوى. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١. ١٩٩٢م.

● المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأَنْدَلُس الرطيب. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

● النُّباهي، أبو الحسن بن عبد الله النباهي المالقي الأَنْدَلُسي (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م): تاريخ قضاة الأَنْدَلُس المسمى «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا». تحقيق: ليفي بروفنسال. القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٨م.

● الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأَنْدَلُس والمغرب. تحقيق: محمد حجي وآخرين. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١م.

ثانيًا. المراجع:

● إحسان عباس، الشورى في الأَنْدَلُس والمغرب منذ بداية الدولة الأموية حتى نهاية دولة الموحدين. [ضمن كتاب الشورى في الإسلام]. عمان: المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية،١٩٨٩م، ص ص٣٢٩-٣٧٥ .

● إسماعيل الدفتار، مفهوم الفتوى وقواعدها ومن له حق الفتوى. [ضمن مؤتمر فوضى الفتاوى: الانعكاسات وأساليب المواجهة] القاهرة: المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، ٢٠١١م، ص ص٨-١١ .

● حسين محمد الملاح، الفتوى (نشأتها وتطورها، أصولها وتطبيقاتها). بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

● حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأَنْدَلُس. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

● سعد عبد الله صالح البشري: الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأَنْدَلُس ٣١٦ - ٤٢٢هـ/ ٩٢٨ - ١٠٣٠م]. السعودية، جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

● محمد العلمي: الدليل التاريخي لمؤلفات المذهب المالكي. الرباط، مركز البحوث والدراسات في الفقه المالكي، ط ١، ٢٠١٢م.

● محمد عبد الوهاب خلاف، تاريخ القضاء في الأَنْدَلُس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

● محمود علي مكي، علوم القرآن في الأَنْدَلُس حتى نهاية القرن السادس الهجري. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ٢٠٠٠م.